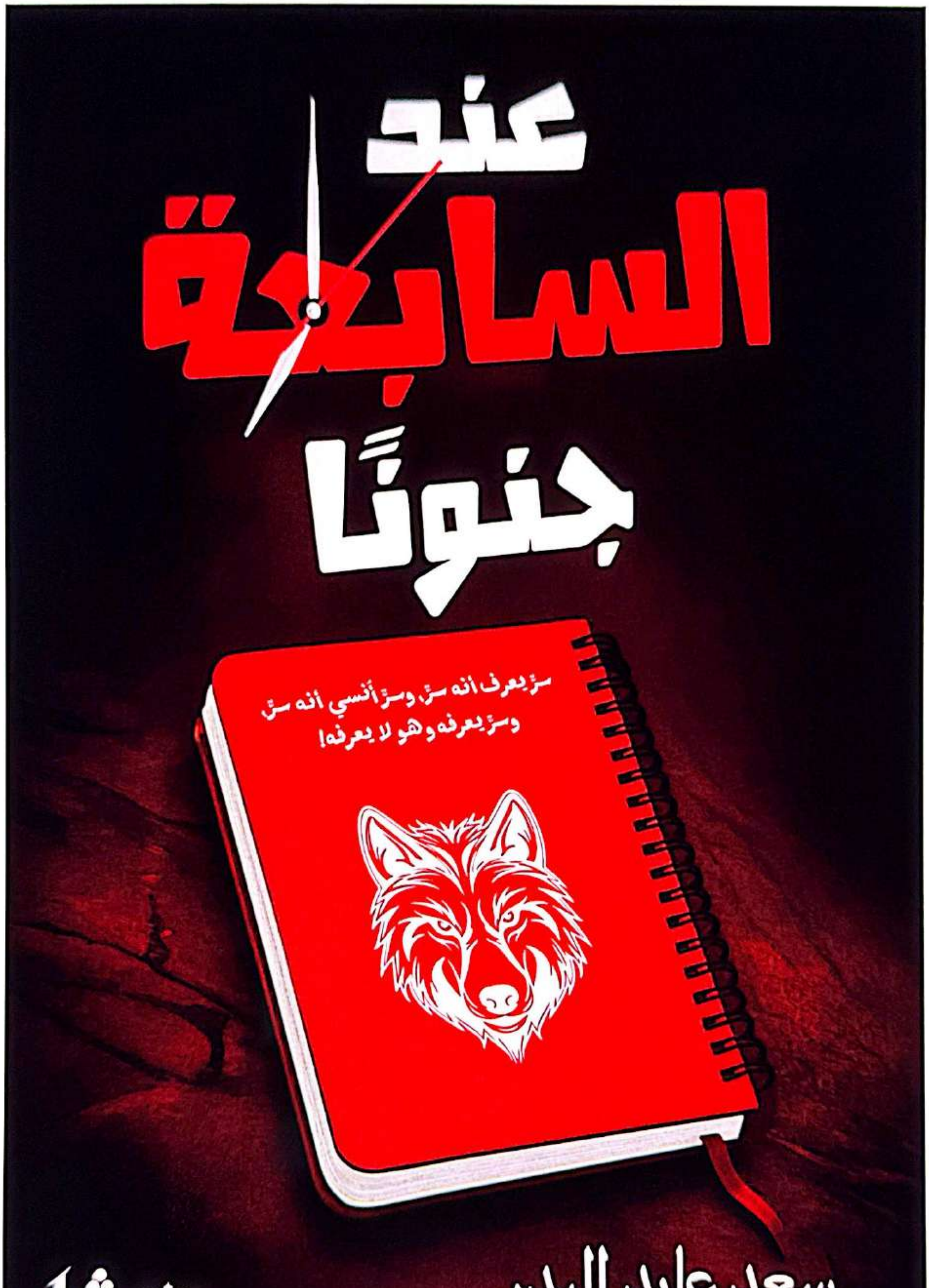
عند
السابعة
جنونًا
سرٌ يعرف أنه سرٌ، وسرٌ أنسي أنه سرٌ
وسرٌ يعرفه وهو لا يعرفه!
سعد عايد البدر
رواية
موقا
2575565132

العنوان

عند السابعة جنونًا

تأليف

سعد عايد البدر

الطبعة

الأولى 2025

ردمك:

978-9921-811-40-7

رقم الإيداع: 2025/2891

تصميم وإخراج

نوڤا بلس للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

www.novapluskw.com

albader29

allbader

saad_allbader

saad_albader

عند السابعة جنونًا

إهداء

إلى عائلتي.

وإلى كلِّ إنسان صَدَقَ مع نفسِه، قبل أن يَصدُق مع الآخرين.

عزيزي القارئ...

افتح هذه الصفحات، وعِش الحُلم...

حاول أن تنسى هذا العالم المليء بالضجيج والتطورات التي لا تترك بداخلنا سوى حالة من القلق، والكثير من الخيبَات.

@N_BHS2

«التاريخ لا يكمن فيما حدثَ فقط؛

بل في الطريقة التي روي بها».

إدواردو غاليانو

اليوم الأول

في الساعة العاشرة وتسع دقائق، حدث ذلك الشيء العجيب المخيف الذي سيغيّر حياة غانم للأبد؛ كان يجلس خلف مكتبه يراجع أوراق إحدى الصفقات بتركيز شديد، ولم يدرِ كم مضى من وقتٍ، لكنَّ رنين هاتفه المحمول انتشله من تركيزه هذا؛ فأمسك الهاتف فرأى اسم زوجته مكتوبًا على الشاشة.

- أهلًا شيماء... ما الأمر؟

- أُذكِّركَ بحفل الليلة؛ كي لا تنسى كعادتكَ، سلمى ستغضب لو فعلتَ.

أطلق ضحكة قصيرة، وأجابها:

- لا تقلقي، سأعود قبلها بمدة.

- أتمنَّى هذا، وإن كنتُ شبه متأكدة أنكَ ستصل متأخرًا كعادتكَ.

ضحكة قصيرة أخرى منه، ثم ودَّعها بكلمات معدودة، وتلاشت ابتسامته، وعادت الجدية لملامحه، دقات على

الباب انتشلت عقله مجددًا من تدقيقه في أوراق الصفقة؛ فرفع رأسه بضيق؛ فُتِحَ البابُ ودخلت سكرتيرته نادية وهي تحمل شيئًا بين كفيها.

- لقد وجدتُ هذا المظروف في الرسائل الواردة لمبنى الشركة يا أستاذ غانم.

- وما الذي يميز هذا المظروف عن غيره حتى تُسلميني إياه بشكلٍ شخصيٍّ؟

- مُدوَّن عليه ملاحظة تؤكد أن يصل إليكَ بشكل مباشر، ويُسلَّم لكَ يدًا بيدٍ.

بدا الاستغراب على وجهه وهو يأخذ المظروف من يدها، استدارت نادية وعادت لمكتبها بينما تطلع هو للمظروف بدهشة، ومدَّ يده نحو فتَّاحة الخطابات ومرر حدّها عليه ببطءٍ، وفتحه بحذرٍ شديدٍ، ثم هزَّه قليلاً فسقطت منه بطاقة سميكة شبيهة بالكروت السياحية الملونة، وكانت مدونة عليها جملة واحدة:

(قريبًا ستدفع الثمن... أيها القاتل).

سرت في جسمه قُشَعريرة باردة، ارتعد لها جسمه

عن آخره؛ وهتف بعصبية:

- نادية...

تعالي إلى هنا من فضلكِ.

فُتِحَ البابُ مجددًا، وأطل منه وجه السكرتيرة المندهشة.

- خيرًا يا أستاذ غانم؟

لوَّح بالبطاقة:

- قولتِ إن هذا المظروف كان موجودًا في حزمة الخطابات؟

- هذا صحيح.

- لا توجد وسيلة لمعرفة مَن أرسله إذن؟

- المفروض أنَّ اسم المُرْسِل على المظروف من الخارج.

عضَّ شفتيه بغيظٍ.

- ليس مكتوبًا للأسف.

كانت نبرة صوتها حذرة، وهي تسأل:

- هل في المظروف ما يتَسبَّب في ضيقكَ.

رَسَمَ على وجهه ابتسامة متكلِّفة:

- لا... أبدًا يا نادية... عودي لعملكِ.

أومأت برأسها وأغلقت الباب خلفها، حدَّق إلى حيث كانت تقف بعينين مليئتين بالقلق، وقال هامسًا:

- شخص ما يعرف... شخص ما يعرف!

سيطر عليه التفكير، ثم أكمل تفحص الأوراق، ووضع بعض الملاحظات في دفتر أحمر داكن، وحين أشارت الساعة للخامسة والنصف تَمَطَّى للخلف مرهقًا.

دقات أخرى على الباب.

- ما الأمر يا نادية؟

قالت سكرتيرته:

- أُذكِّركَ بالحفلِ يا سيدي.

قال بامتعاض:

- آه... الحفل... أشكركِ يا نادية... يمكنكِ الانصراف لبيتكِ الآن، فلا بد أن والدتكِ شديدة القلق عليكِ كعادتها.

- أشكركَ يا سيدي.

وضع الدفتر الأحمر في جيبه، ثم غادر المكتب، فوجد نادية -ما زالت- تجهز نفسها للخروج.

موظفو الشركة انصرفوا في موعدهم كعادتهم، لكن نادية تعلم أن رئيسها في العمل يمكث أطول منهم، وكانت تجد من واجبها أن تظل معه حتى ينتهي، جمعهما المصعد، ومرآب السيارات، ثم منحها ابتسامة وهزة رأس رقيقة، فردتها بالمثل، وافترقا.

استقل سيارته وانطلق بها بسرعة حتى لا يتأخر، هذه الانطلاقة ذكرته بشيء ما جعل القُشَعريرة تعود، والرسالة الغامضة تثب كلماتها إلى ذهنه: (قريبًا ستدفع الثمن... أيها القاتل).

ضغط دواسة البنزين أكثر، فهو غير مستعد لسماع محاضرة طويلة مملة من زوجته شيماء عن إهماله

وتأخره المستفز، وعدم اهتمامه بالاجتماعيات التي تتولى هي أمرها، والتي لولاها لأُخِّر كثيرًا عن مكانته كرجل أعمال مرموق في البلد، مجرد تذكر وجهها الغاضب المحمر جعله يضغط أكثر على دواسة الوقود، وفجأة ظهر هذا الشيء بغتة أمامه.

داس المكابح بقوة، وتحكم في عجلة القيادة بصعوبة كبيرة، حتى إن سيارته كادت تنقلب على جانب الطريق، لكنها توقفت بسلام، وحولها سحابة من الرمال، وبعدما تلاشت غادر غانم السيارة، وتطلع حوله بحيرة وهو يبحث عن هذا الشيء الذي وقف في منتصف الطريق هكذا.

ورآه أخيرًا، وارتجف غانم رغمًا عنه؛ فمستحيل أن يرى شيئًا كهذا في هذا المكان، وخطر في باله أنه من المستحيل أن يرى هذا الشيء في أي مكان آخر، فهل توجد ذئاب بيضاء ضخمة كهذا الذئب؟

نعم، فما وقف أمامه، كان ذئبًا كبير الحجم أقرب لمُهر صغير، وكان ناصع البياض، وانعكاس ضوء القمر

عليه أبرز صفاء لونه العجيب!

تجمد في وقفته، تجمد لوقت طويل جدًّا، حتى خال أن الزمن نفسه توقف، هو يقف في مكانه دون حراك، بينما الذئب يبادله نظرات قوية مركزة عجيبة، فلا هو انصرف ولا هو هاجمه بشراسة كعادة الذئاب!

هل هو ذئب يمتلك فضولًا ناحية البشر!

تحرك غانم للخلف عدة خطوات بحذر شديد، فتحرك الذئب أيضًا، لكن عدة خطوات للأمام، ثم توقف ونظر لأعلى وأطلق عواءً طويلًا حزينًا، أشبه بنغمة نايٍ سحريٍّ!

وارتجف غانم مرة أخرى قسرًا وهو يرى الذئب يعوي، ثم يستدير على عقبيه وينصرف.

تلاحقت أنفاس غانم المنبهرة؛ يا له من ذئبٍ عجيب!

نظر في ساعته؛ فارتسمت على وجهه شهقة ذهول، فقد مضت نصف ساعة منذ توقفه في هذا المكان!

أدار سيارته وانطلق، وهو يرسم سيناريوهات مرعبة لردِّ فعل زوجته شيماء حين تراه.

العَلاقة بينه وبين شيماء متوترة منذ مدة؛ فقد أسس شركة مع أصدقاء له، ثم قرر الانفصال عنهم، وسط اعتراضات عنيفة من شيماء، لكنها حمقاء لا تعرف شيئًا.

حاول بجَهد أن يرفع مستوى شركته، لكنه مهما بذل من جَهد؛ فإن الشركة التي انفصل عنها تحقق نجاحات أكثر منه بكثير، برغم ثقته من امتياز ما يقدمه، لكن -بشكل ما- بدا أنهم يسبقونه بخطوة؛ بل بسنوات ضوئية.

وصل للڤيلا، وواجهته الأضواء الباهرة التي تنبعث منها بقوة، وقال لنفسه إن تكلفة الكهرباء هذا الشهر ستُخرب بيته، رأى زوجته من باب الڤيلا المفتوح وهي تستقبل المدعوين مع ابنهما هيثم وابنتهما سلمى، وفور أن لمحته تغيَّر وجهها، وتقدمت نحوه بخطوات رصينة، وكأنها تريد أن تلحق به قبل دخوله،

قال عقله إن فاتورة الكهرباء غدت أقل مشاكله، وإن الكابوس الذي يتقدم نحوه الآن لهو أعظم وأشد خطرًا، ولأنه يعرف جيدًا ما سيحدث؛ حثَّ خُطاه ووثب عبر الباب المفتوح برشاقة متعجلة، ثم استدار ناحية الشمال وقال مُرحِّبًا:

- حماتي العزيزة... لم أعرفكِ!

ابتسمت حماته خديجة، وقالت معاتبة:

- لمَ تأخرت أيها المهمِل؟ ألا تعرف زوجتك وما يمكنها أن تفعله!

قال وهو يصافحها بود:

- لا أعرف لماذا لم ترث طابعكِ الرصين المتأني يا حماتي.

ضحكت حماته وقالت:

- لقد ورثت أباها في هذه النقطة.

مط شفتيه، وقال:

- للأسف.

اقتربت منه شيماء وقالت بصوت خفيض وهي تحاول السيطرة على النار المضطرمة في عروقها:

- لقد تأخرتَ كعادتكَ... ألا توجد مرة تسعد فيها قلبي وتصل فيها قبل موعدكَ؟

لا... بل أقصى طموحاتي أن تصل في موعدك.

رسم على شفتيه ابتسامة أسف وهو يقول:

- لقد جئتُ في موعدي، لكن أخّرني حيوان ظهر في طريقي بغتة.

قالت خديجة باهتمام:

- أي حيوان هذا؟

قال بسرعة في محاولة منه لأن يصنع إلهاء يدفع عنه توبيخ شيماء:

- لقد كنتُ أقود سيارتي، وفجأة في نقطة ما ظهر ذئب أبيض ضخم جدًّا، و...

وهنا قطع غانم كلامه، حين سمع شيئًا ينفجر، ولم يستوعب حين رأى كرة لهب عظيمة مع صوت مدوٍ

يلتهمه هو ومن معه!

***

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

اليوم الثاني

شعر غانم بلفح النار المؤلم، وقد توقف عقله والنار تقترب منه لتأكله، وعقله يصرخ:

- هذا ليس حقيقيًّا... هذا ليس حقيقيًّا.

ثم حين شعر بالنار تأكله فعلًا أطلق صرخة ألم كاسحة، وهو يغمض عينيه، ثم هدأ كل شيء بغتة، مع تلاشي الألم ففتحهما، وصُعِقَ حين رأى نفسه جالسًا خلف مكتبه.

تلاحقت أنفاسه وهو ينظر حوله بتوتر بالغ، غير مصدق لما يراه، هل كان يحلم؟ لا بد أنه حُلم، لا؛ بل كابوس.

تطلع لهاتفه المحمول، فإذا هي الساعة العاشرة وست دقائق، أخذ نفسًا عميقًا، هل يوجد كابوس بهذه الدقة والوضوح والألوان أيضًا؟

لكنه أحمق، كان من المفترض أن يعرف أنه كابوس من رؤية ذلك الذئب الأبيض الضخم، كان اللابتوب أمامه

مفتوحًا على مصراعيه، فتح موقع جوجل وبحث عن الذئاب البيضاء، فوجد أنه توجد حيوانات بهذه الصفة فعلًا، لكن في القطب الشمالي أو ألاسكا، ويندر أن توجد ذئاب بيضاء في أية أماكن أخرى.

بدا عليه الارتياح، وهو يلوم نفسه؛ فطبيعي ألا توجد ذئاب بيضاء في الكويت، رنين هاتفه انتشله من أفكاره، فاستدار إليه بحدة، فإذا اسم زوجته على شاشته، ابتلع ريقه برعب، وقال لنفسه بأنها ظاهرة -ديچافو- الشهيرة، أو شوهد من قبل، حيث يتراءى للمرء أنه مرَّ بهذا الموقف من قبل، لكنه لا يتراءى له هذا؛ فقد رأى وسمع اتصال زوجته به أمس! ضغط زر الإجابة وأتاه صوتها، فقالت:

- هذا كله حتى تردّ عليَّ! أخبرتك أنني أكره أن تتأخرَ في الإجابة عليَّ.

تمالك أعصابه وهو يقول:

- لن أكرر هذا الخطأ الشنيع مرةً أخرى.

قالت بأنفة:

- لا تنسَ حفل اليوم وتتأخر كعادتكَ، مع أنني شبه متأكدة أنكَ ستفعل...

إنه حفل عيد ميلاد ابنتكَ، فلا تنسَ هذا.

ابتلع ريقه مرة أخرى، الجملة ذاتها، لكن مع اختلافات بسيطة.

دقات دُقت على باب مكتبه؛ فرفع رأسه عن شاشة الهاتف التي كان يحدق إليها، وإذ بنادية تدخل وهي تحمل شيئًا في يدها جعله يتجمد في رعب، مدت نادية يديها إليه وهي تحمل المظروف -الذي كان يعرفه جيدًا- فتناوله بتلقائية، وقلبه يخفق في صدره، فهل ستكون الجملة ذاتها تنتظره؟

لم ينتظر حتى تخرج نادية، فضَّه؛ فإذا بالجملة بارزة أمامه ككابوس من نوع آخر:

(قريبًا ستدفع الثمن... أيها القاتل).

نظر بحدة للسكرتيرة نادية وقال:

- طبعًا ستقولينَ إنَّكِ وجدتِه في رزمة الخطابات

التي تصل للشركة.

قالت بحيرة:

- فعلًا! لكن ما ميزه أن...

قاطعها بتوتر:

- اسمي مكتوب عليه... نعم... أعلم.

حدَّقت إليه بحيرة، وقد استغربت سلوكه غير المعتاد، فعهدها به أنه رصين ومتأنٍ.

تنهد وهو يقول:

- انصرفي يا نادية.

بدت الحيرة على وجهها، لكنها هزت رأسها وغادرت.

فتح المظروف بلهفة، وإذا الجملة المخيفة تنتظره:

(قريبًا ستدفع الثمن... أيها القاتل).

تهاوى على كرسيه غير مصدق، فما معنى هذا؟ هل معناه أن ما حدث كله أمس سيحدث مكررًا اليوم، لكن هل أمس هو أمس فعلًا؟ أم أنه اليوم نفسه لكن

متكرر؟

تذكر عودته بوضوح للفيلا، والذئب الأبيض الذي يعترض طريقه، والقنبلة التي...

القنبلة!

هبَّ من خلف كرسيه بسرعة، وغادر المكتب وعلامات ذعر بادية على وجهه، تساءلت السكرتيرة التي فوجئت به أمامها:

- ما الأمر يا أستاذ غانم؟ هل كل شيء على ما يرام؟

قال متعجلًا:

- أتمنى أن يكون كذلك يا آنسة... أتمنى ذلك.

توجه لسيارته وانطلق بها بسرعة رهيبة، وإن كانت بحدود المسموح، ما يتمناه كله -حقًا- أن يكون ما يظنه مجرد مبالغة مَرضية لما يمكن أن يحدث، وأن...

- أيها الحمار... انتبه... أأنتَ أعمى!

انتبه فوجد نفسه قد ارتطم بسيارة تسير أمامه.

***

دق قلبه بعنف، وهو يوقف سيارته، فرأى سيارة أخرى قد تحطمت مؤخرتها بسبب مقدمة سيارته هو، ما يتذكره كله أنه كان يسير بسرعة على جانب الطريق المتسع، وفي غمرة شروده انحرف قليلًا؛ فارتطم بهذه السيارة، تجمّع المارة حول احتقان صاحب السيارة الأخرى، والذي كان ثائرًا وهو يرغي ويزبد، كان في الخمسينيات من عمره، أنيق الملبس يبدو مهيبًا، ويرتدي نظارة طبية.

أصر الرجل على الذهاب لأقرب نقطة شرطة، بينما شعر هو بالذعر، ذهابه لنقطة الشرطة معناه أنه سيتأخر عن الذهاب للمنزل؛ كي يفتشه ويبحث فيه عن القنبلة، كان يعرف أنه سيواجه نظرات تتهمه بالجنون من شيماء زوجته وابنه هيثم وابنته الصغيرة سلمى، لكن لا بأس، فالمهم أن يكونوا في أمان، اقترب من الرجل وهو يخرج حافظة نقوده:

- اسمح لي يا سيدي أن أعوضكَ عن حماقتي بأيِّ مبلغ تريده.

رمقه الرجل بتأفف وهو يقول ملوحًا بيده:

- كلامك يؤكد أنكَ لم تتعظ ولم تندم على ما فعلته... ماذا لو تسببت حماقتكَ هذه في انقلاب سيارتي أو ارتطامي بعمود إنارة أو خروجي من نهر الطريق؟ كنت سألقى حتفي غالبًا، فهل ستكون لنقودكَ فائدة حينذاك؟

بُهت غانم من كلام الرجل، وهمَّ بالرد، لكن هذا الأخير عاجله:

- لن ينتهي الأمر إلا في نقطة الشرطة... لا بد أن تتعلم الأدب... انتهى الأمر.

حضر الشرطي الذي كان مهذبًا برغم صرامته وفرّق الحشد واصطحب الرجلين معه للنقطة.

***

رمقه الضابط المناوب بضيق:

- كيف تقوم بالاصطدام به من الخلف يا أستاذ؟

قال مدافعًا عن نفسه:

- أعتذر إليك وإليه يا سيادة الضابط... لم أتجاوز حد السرعة القانوني.

نفخ خصمه:

- لكنكَ تجاوزتَ حدود السلامة، والالتزام بسرعتكَ دون أن تندفع كالأهوج للأمام.

قال الضابط مؤنِّبًا:

- إنه على حق.

عض غانم على شفتيه وهو يقول:

- أعلم أنه على حق يا سيادة الضابط.

سأله الضابط:

- ما الذي جعلكَ شاردًا؟

حاول أن يبتسم، لكن مشهد القنبلة وهي تنفجر وتلفحه بنارها جعل الابتسامة تتهاوى سريعًا:

- الحق أنني أُقيم حفلًا الليلة في منزلي، وقد بدأ بالفعل منذ دقائق، وأخشى أن يقلق ضيوفي على تأخري.

بدا الاهتمام على وجه خصمه الذي قال:

- حفل؟ أي حفل هذا؟

اندهش من اهتمامه المباغت، فقال بحذر:

- إنه حفل بمناسبة عيد ميلاد ابنتي سلمى، و...

قاطعه الرجل بدهشة:

- أنتَ غانم؛ رجل الأعمال الشهير؟ يا للمصادفة الغريبة!

بدت عليه دهشة ممزوجة بحيرة:

- هل تعرفني يا سيدي؟

ابتسم الرجل وقد أشرق وجهه بشكل مختلف عما كان عليه سابقًا وقال:

- أنا شقيق القاضي سعيد، وقد أصر أخي على أن أحضر بدلًا منه بسبب سفره المباغت.

قال غانم غير مصدق:

- أنتَ سعد شقيقه! إنك لا تشبهه بالمرة.

ضحك سعد:

- هذا صحيح، لكننا نجتمع معًا في طيبة القلب والمسامحة، وعليه فالمفروض أن نلحق معًا بالحفل وإلا أُخذنا غيابًا.

كان لهذا التطور أثره البالغ في انتهاء الأوراق بسرعة، ومغادرة الاثنين لنقطة الشرطة، وقد انطلقا للحاق بالحفل، وبعد نصف ساعة تقريبًا كان غانم هو ثاني مَن يصل، وقد غادر سيارته بسرعة، وهو ينظر في ساعته بتوتر رهيب، رأى زوجته شيماء تتكلم مع سعد الذي كان يضحك وقد بدا أنه يحكي لها ما حدث بينهما، وهذه المفارقة العجيبة.

ثم انتبه لحضوره فقال هاتفًا:

- ها هو ذا قد وصل.

لم تكن شيماء غاضبة بطبيعة الحال؛ فقد علمت منذ قليل سبب تأخره، ومع هذا لم يشغله ما يشغلهم، فقط ركض إليهم صارخًا:

- غادروا الڤيلا الآن... سيحدث انفجار...

سيحدث انفجار.

بدت الدهشة على وجه شيماء وهمت بقول شيء ما، لكن كرة النار الرهيبة انطلقت من داخل الفيلا والتهمت الجميع وسط صرخات الألم.

***

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

@N_BHS2

اليوم الثالث

كادت تندُّ منه صرخة ألم، لكنه كتمها بسرعة حين وجد نفسه بغتة في مكتبه، كالمرة السابقة، تلاحقت أنفاسه، الأمر جدّ لا هزل فيه إذن، نظر في ساعته فإذا هي العاشرة وتسع دقائق، يمكنه -بشيء من الاستنتاج- أن يعرف أن مَن أرسل الرسالة هو نفسه مَن فجَّر بيته.

لكن كيف يموت ويعود؟ أو كيف يتعرض للموت على الأقل ثم تعود الساعة للوراء مرة أخرى؟

هبَّ من خلف مكتبه وتوجه للباب الذي يطل على مكتب السكرتيرة نادية، وفتح الباب بخفة كعادته، وهناك توقف مصعوقًا من المشهد غير المتوقع الذي ارتطم ببصره؛ فقد رأى نادية تفتح حقيبتها وتُخرج منه المظروف، وهنا لم يحتمل، ففتح الباب على مصراعيه وصرخ:

- إذن... فأنتِ صاحبة المظروف... أيتها اللئيمة المخادعة.

امتقع وجهها، وبدت كفأر في مصيدة، وهو ينقضُّ عليها:

- لكن... لماذا؟ ماذا فعلتُ لكِ من أجل أن تهدديني بالقتل؟

بدت مذعورة وهي تتراجع للخلف في مقعدها:

- أيُّ تهديد بالقتل يا سيدي؟ لقد فهمتَ الأمر خطأ... لستُ صاحبة المظروف، أنا مجرد مرسال فحسب.

حدَّق إليها للحظة ثم قال بخشونة:

- مرسال! أهي خدعة جديدة؟

لوَّحت بيديها:

- على الإطلاق... لقد قابلتُ أحدهم في مدخل الشركة، وأعطاني المظروف لأسلمه لكَ شخصيًّا، مقابل 500 دينار، ووجدتُ أن الأمر سهلًا وليس فيه ضرر لأحد... مجرد مرسال أُسلمه من يد ليد فحسب، ولم أكن لأجرؤ أن أخبركَ بهذا.

هدأ قليلًا، ثم سألها:

- وفحوى المظروف؟

لوَّحت بيدها مرة أخرى:

- لا عِلم لي به.

جلس قبالتها وهو غارق في أفكاره، الآن هو شبه متأكد أن صاحب المظروف هو صاحب الانفجار المدمر نفسه، وإلا فستكون مصادفة غير معقولة أن يحدث هذا في اليوم ذاته، وأغمض عينيه، الماضي المخيف يطارده مرة أخرى، وليس هو فحسب؛ بل أسرته أيضًا.

***

- ياهووووو.

صرخ بها فيصل، وهو يقود سيارته ومعه غانم، الهواء بارد، والشارع خالٍ إلى منتهى البصر؛ حيث كان في المرحلة الأولى من رصفه، ويبدأ من منتصف التل، وحتى أول العمران الذي يبدأ بمنازل صغيرة بسيطة، وكان المشروع نفسه يتولاه الاثنان من خلال شركة المقاولات التي أنشآها معًا.

تمتم غانم:

- خفف من سرعتك يا فيصل.

قال فيصل بحماسة وهو يضغط أكثر على دواسة الوقود:

- لقد فزنا بمناقصة مهمة جدًّا يا صديقي... هذه الصفقة ستنقلنا نقلة نوعية لا نحلم بها في طريق الثراء.

ثم تغيرت نبرته بشكل مفاجئ وهو يُبطئ سيارته بغتة:

- إنه هو!

اندفعا للأمام بقوة؛ حتى إن غانم ارتطمت رأسه بقوة بتابلوه السيارة، وسال خيط من الدم من جبينه، وتمتم بسخط:

- أيها الغبي.

تجاهله فيصل وهو يغادر السيارة مسرعًا نحو رجل يقف على قارعة الطريق يحمل لافتة مناهضة لعمل

مشروع في هذا المكان.

- أنتَ مرة أخرى!

هتف بها فيصل وهو يقترب من شاب ما أن رآه حتى ابتسم بسخرية وهو يقول:

- نعم أنا... ما دام في جسمي نَفَس فسأظل كابوسكَ يا فيصل أنتَ وشريككَ اللص هذا.

قال فيصل بغيظٍ:

- الكل باع يا أكمل... الكل باع.

قال أكمل بأنفة:

- بأبخس الأسعار... لكن سأظل أنا رافضًا للبيع... صحيح أن قطعة الأرض الخاصة بمنزلنا صغيرة، لكنكَ لن تستطيع شق طريقكَ من دونها، حتى لو أعطيتني كنوز الدنيا.

قال فيصل بغضب:

- أنتَ بهذا تُوقف المشروع.

هز أكمل رأسه:

- يبدو أن حُلم الثراء السريع يحوّل البعض لحمقى، والبعض الآخر لـ...

قطع جملته بغتة وتأملهما، ثم قال بنبرة ذات مغزى:

- والبعض الآخر... لوحوش.

تمالك فيصل أعصابه، ثم قال بَعد لحظة:

- لن تلينَ إذن.

قال أكمل ببرود:

- لو لانت التلة القابعة ورائي فلن أفعل.

تأمله فيصل بنظرة متقدة، ثم دخل سيارته وتبعه غانم ثم انطلق بها مُكملًا طريقه بسرعة أكثر هذه المرة، وبلغ من سرعتها أن الهواء الثقيل كاد يقتلع مرآة السيارة الجانبية من مكانها.

- ستقتلنا أيها المجنون.

صرخ بها غانم والذي ضمد جرحه العميق بمنديله، وهو يُخمِّن أنها ندبة ستظل حتى آخر حياته، وفجأة استدار فيصل بسيارته ناحية أكمل، وهو يتأكد من أنه

لا يوجد أحد هنا أو هناك، ثم ارتسمت ابتسامة قاسية متشفية على وجهه وهو ينطلق بسرعة أكثر ثم انحرف بغتة حين اقترب من أكمل، بحيث صار هذا الأخير في مرماه تمامًا، ثم...

كان الارتطام قويًّا لدرجة أن أكمل طار في الهواء لخمسة أمتار متواصلة، واختفى جسمه خلف كومة رمال.

***

توقف فيصل بغتة وهو يرتجف من الانفعال، ثم نزل من السيارة ووقف وسط سحابة الرمال التي أثارها متجاهلًا نظرات الذهول التي رمقه بها غانم وكلمات التوبيخ والتقريع واتهامه بالجنون والوحشية التي أعقب بها.

هذا كله صار في خلفية اهتمامه، راح يخفت حتى صار همسًا لا يؤثر عليه، ما كان يهمه كله في هذه اللحظة بالتحديد هو شعور الانتصار بأنه قد فاز على عقبة سخيفة قد تقوّض مستقبله، وتوجه لكومة

الرمال، وجثا على ركبتيه وتأمل الجثة المحدِّقة مفتوحة العينين، ثم ألقى نظرة عابرة على التلة المنتصبة أمامه، وابتسامة غامضة ترتسم على شفتيه.

تقدَّم غانم منه متعجلًا، وقال:

- فلنذهب به للمستشفى... هيَّا.

تأمله فيصل بنظرة باردة:

- وماذا نقول لهم؟ لاحظ أنكَ شريك معي في هذا الأمر أيها المرهف الحس.

فعضّ غانم على شفتيه بقهر وغيظ.

***

- تقتله! ثم تريد دفنه هنا! لقد جننتَ حتمًا.

قالها غانم، فمط فيصل شفتيه وتأمَّل المكان حوله باهتمام؛ كان عبارة عن فجوة تشبه الكهف في قلب التل، وكانت فجوة محدودة تمتد لعشرين مترًا للداخل، تصلح كقبر مختفٍ بامتياز.

التفت إليه، وقال:

- هذه الفجوة... أو هذا الكهف كما يُطلق عليه الأهالي لن يقترب منه أحد، فهناك كمية هائلة من الإشاعات تخرج منه... وحوش قاتلة... وعفاريت ذات أشكال بشعة.

تمتم غانم:

- إن هي إلا خرافات وأساطير.

هز فيصل رأسه:

- الخرافات لا تموت... ولأنها لا تموت فهذا أنسب مكان لدفنه فيه.

وانحنى فيصل وسحب جثة أكمل بنفسه لداخل الكهف، غير آبه بالدماء التي خضبت ثيابه، وأسند جسمه ناحية الجدار الرملي المهترئ، ثم شرع يحفر الأرض بهمة، وأدلى جثة الشاب أكمل في الحفرة التي حفرها، وأهال الرمال عليها.

***

انتبه غانم من ذكرياته على صوت نادية:

- أرجو أن تسامحني يا سيدي... لقد أخطأتُ في حقكَ وفي حق الشركة، ولو كان فَصلي...

قاطعها بخشونة وهو يقف:

- لن أفصلكِ... كلنا نُخطئ يا نادية، وربما خطأكِ هو أهون الأخطاء.

ثم غادر مكتبها وتوجه لمنزله، القنبلة هناك ستنفجر في الساعة السابعة؛ أي أنه -ما زال- هناك وقت لمنع انفجارها، المهم أن يصل دون أن يوقفه شيء، توجه للمرآب وركب سيارته وانطلق بها، لكن قبل أن يغادر متوجهًا للخارج، شعر بحركة في المقعد الخلفي؛ استدار بسرعة، لكن يدًا قوية امتدت وغرست محقنًا في عنقه، حاول أن يعترض، يقاوم، يصرخ حتى، لكن لا شيء استطاع فعله، وكان الخاطر الأخير الذي اقتحم عقله على هيئة سؤال هو؛ هل المحقن يحوي بداخله سمًّا زعافًا، أم مخدرًا قويًّا؟ ثم هجم عليه الظلام بقوة كاسحة.

***

انتبه غانم من غفوته، وتلفت حوله بحيرة، ليجد نفسه في سيارته، نظر لما حوله بغباء مَن لا يعرف مَن هو، وكيف أتى إلى هنا، ثم عادت إليه ذاكرته بغتة، لقد فأجاه أحدهم وغرس محقنًا في عنقه، لكن ها هو ذا سليمًا معافًا، هل هو لص؟ مدَّ يده لحافظة نقوده، وإذ بأمواله كما هي! بدت عليه دهشة عارمة؛ ماذا كان يريد إذن؟ ومضت في ذهنه فكرة ما، فابتلع ريقه بتوتر وهو يبحث في جيبه عن الدفتر الأحمر، وإذ به غير موجود.

إذن كان الهدف هو هذا الدفتر، وواضح أن مَن سرقه كان يعرف أهميته جيدًا، ويعرف أن أهميته تكمن في أنه يُسجِّل فيه ملاحظات دقيقة ومثمرة عن الصفقات التي تتم مع الشركات الأخرى، أو نقاط ضعف هذه الشركات، ومثالب منتجاتها على سبيل المثال، وهي إذن كنز اقتصاديّ مُهم لأيٍّ رجل أعمال، لكن مَن ذلك الذي يُدرك وجود هذا الدفتر تحديدًا؟

نظر في ساعته؛ فبان على وجهه ذعر شديد، وهو ينطلق في الطرقات ملتزمًا بالقواعد هذه المرة، وحين

أشرف على الڤيلا، ووجد الأنوار تنبعث منها أطلق تنهيدة ارتياح، وركن سيارته ثم غادرها بلهفة، لكن قبل أن يصل لباب الڤيلا انطلقت كرة اللهب العظيمة من الداخل، وهي تُحيل كل شيء لُحطام مشتعل.

جثا على ركبتيه، وانفجر في بكاء عنيف، وقد التف حشد من الناس، وأتت قوات الشرطة والإسعاف والمطافئ، وهذا كله وهو يبكي وقد بدا لكلِّ مَن يراه أن ثَمة لوثة قد أصابته لعِظم ما رآه، لكن لو دخل أحدهم لأعماقه لشَعُرَ بالدهشة والتحيّر من شعوره الغريب حينذاك؛ اليأس الممزوج بالقهر وقلة الحيلة، وهذا العذاب المتكرر إلى ما لا نهاية فيما يبدو لفقد أحبائه.

ويا له من شعور!

***

كان ينتظر في إحدى سيارات الإسعاف، حين أقبل أحد محققي الشرطة عليه اسمه هاشم، وهو يحمل شيئًا في علبة مغلقة بإحكام.

قال هاشم بشفقة:

- أعرف أن كلمات التعازي لن تخفف عنكَ ولو ذرة من حزنكَ يا أستاذ غانم، لكن لا بد لنا من مباشرة عملنا ومعرفة ملابسات الحادث.

أومأ برأسه دون كلمة، وقد جفت عيناه ولم يعد بهما المزيد من الدموع.

قال هاشم وهو يجلس بجواره:

- هل تعرف ما هذه؟

هز رأسه أن لا.

- متفجرات سي فور(1).

بدت على وجهه حَيرة حقيقيةٍ جعلت هاشم يقول:

- يبدو أنكَ لم تسمع عنها من قبل... حسنًا، إنها التي تسببت في هذا الخراب.

لمح غانم رجال الإسعاف وهم يستخرجون الجثث المَتفحمة فانقبض قلبه، وبدا أنه على وشك البكاء مرة أخرى، ولاحظ هاشم هذا فقال مواسيًا وهو يربت

على ظهره:

- بالفحص المبدئي وجدنا بصمة كاملة، ويبدو أننا على مقربة من معرفة القاتل الوضيع الذي فعلها... نعم... هذا لن يؤثر عليكَ ولن يُعيد إليكَ زوجتكَ وأولادكَ، ولكن...

أكمل هاشم كلامه بنبرة فيها مواساة وحزن حقيقي، لكن لدهشته وجد أن عينيّ غانم تلمعان، ولم يفهم سر اللمعة، ومرة أخرى لو دخل في عقله هذه المرة لشعرَ بالدهشة؛ فهناك بداخله كان غانم يصرخ:

- بل توجد وسيلة لإعادة كل شيء أفضل مما كان.

***

لم يجد بُدًّا من المكوث وحده في فندق صغير، جلس على طرف سرير غرفته وهو ينتظر حدوث هذا الشيء الغامض الذي يُعيده للمكتب مجددًا، وشرد ذهنه بين انتظاره له؛ لُيمنح هيثم وسلمى وشيماء فرصة حياة جديدة، وبين خوفه من تَكرار ألم الفراق والانفجار مرة أخرى.

دقات دُقت على الباب برفق؛ ففتحه وظهر أمامه أحد العاملين في الفندق، والذي كان يحمل في يده حقيبة بلاستيكية صغيرة، مدَّها نحوه وهو يقول بابتسامة صغيرة:

- الآنسة نادية أتت بهذه الحقيبة لكَ.

أومأ برأسه شاكرًا، ونَقَدَ الرجلَ بعض الدينارات قبل أن ينصرف من أمامه، وأغلق خلفه باب الغرفة وفتح الحقيبة التي كانت تحتوي على بعض احتياجاته، كانت نادية قد اتصلت به في وقت سابق لتطمئن عليه، وقد شعر بالامتنان لموقفها النبيل هذا، وغضَّ تفكيره عن موقف المظروف، تنهد وهو يتأمل حياته التي انهارت بين عَشية وضحاها، عشية وضحاها! تبدو الجملة مألوفة في ظل تَكرار اليوم عليه، ونام والإرهاق يسحقه تحت وطأته، وأغمض عينيه، وثَمة أمنية حارقة تجوب في رُوحه؛ وهي أن يستيقظ ليجدَ نفسه جالسًا في مكتبه.

***

استيقظ من نومه على رنين الهاتف.

- معذرة على إيقاظكَ يا أستاذ غانم، لكننا نريد رؤيتكَ في مخفر الشرطة للضرورة القصوى؛ فهناك معلومات جديدة.

أتاه صوت الضابط، فسرت في جسمه موجة من الحماسة، كادت تقضي بالكاد على موجة الإحباط المضادة والتي انتابته حين استيقظ في فراشه دون تغيير، ولم يمضِ نصف ساعة إلَّا وكان هناك، كانت هناك نظرة صارمة منه على الضابط هاشم وهو يستقبله، وجلس وهو يقول بقلق:

- ما الأمر؟ وجهكَ يقول إن ثمة كارثة تحدث.

رمقه الضابط بنظرة صارمة، وهو يقول:

- لقد فحصنا البصمة الموجودة على القنبلة؛ وعرفنا صاحبها.

قال غانم بلهفة:

- مَن؟

قال هاشم بصرامة تمتزج بنبرة احتقار:

- أنتَ!

تراجع غانم للخلف مصعوقًا وهو يتمتم غير مستوعب بالكامل لما يسمعه:

- ماذا! أنا؟

هز هاشم رأسه، وقال:

- لقد كانت مفاجأة بالنسبة لنا... بمزيد من التحريات، وجدنا أنَّ ثمة خلافات بينكَ وبين زوجتكَ في الفترة الأخيرة.

قال غانم باستنكار:

- وإن كان، هل هذه الخلافات ستجعلني أقتل زوجتي وأولادي وأفجر منزلي بأكمله! هذا جنون.

لوح هاشم بيديه:

- نحن نسير وراء الأدلة أينما كانت... وبالرغم من عدم منطقيتها؛ لذا نحن مضطرون لإلقاء القبض عليكَ، حتى تظهر معلومات أكثر في هذه القضية.

ردد غانم وهم يقيدونه بالحديد:

- هذا كابوس... حتمًا هذا كابوس.

***

كانت سيارة الشرطة تنطلق عبر الشوارع متجهة للسجن في المنطقة المكتظة في البيوت الشعبية، غانم غارق في أفكاره السوداء، وحياته التي تنتقل من سيء لأسوأ؛ فها هو ذا مقبوض عليه بتهمة قتل عائلته.

السيارة تعبر الطريق لشارع آخر، وكان عليها أن تنعطف، لكن سيارة نقل كبيرة أتت من الجهة المقابلة، ولا يعرف أحد ما الذي انتاب السائق حتى يلتف نحو سيارة الشرطة هذه ويرتطم بها بقوة؛ قُلبت سيارة الشرطة بعد أن طارت في الهواء لأمتار، ثم هوت مقلوبة على الطريق، وسالت الدماء من رجال الشرطة، بينما صداع مميت يكتنف دماغ غانم، والذي وجد أن الدماء تسيل من جبينه، ومن ساقه التي انحسرت بين مقعدين، وبدا من الألم الرهيب الذي

يشعر به أن كسرًا قد حلَّ بها.

حاول النهوض بلا جدوى، الناس ملتفون وهم يحاولون تقديم يد المساعدة، وقد أنقذوا رجال الشرطة بالفعل، ولم يبقَ إلا هو، وهنا لمح خيط البنزين، من طرف عينه لمح السائل الوردي وهو ينطلق بكثافة من السيارة، فصرخ:

- ابتعدوا... السيارة ستنفجر... السيارة ستنفجر.

صرخته نبَّهت الناسَ، وجعلتهم يصابون بالذعر وهم يجرون، وفي هذه اللحظة استطاع غانم الإفلات من المقعدين وهمَّ بالخروج من السيارة، لكنه توقف للحظة...

ماذا لو كانت عودته لمكتبه مرهونة بموته؟ لقد حدث هذا الموقف أكثر من مرة، ولم يعد إلا عندما يموت!

كان عليه أن يراهن، بين استنتاج قد يخيب، وقد يفلح.

ولمح بطرف عينه هذا العجوز الذي يمر بالشارع غير

...

مكترث لما حوله، ويشعل سيجارته، ثم يلقي عود الثقاب، ليشتمه البنزين الذي يُغرق الأرضية الإسفلتية، و...

ودوَّى الانفجار.

***

اليوم الرابع

انتفض غانم وحدَّق إلى ما حوله غير مصدق، إنه في حجرة مكتبه، والساعة تُشير إلى العاشرة وتسع دقائق، اضطرب وكأنه كان يخشى أن يكون الانفجار هو آخر ما سيراه في هذا العالم، وما استنتجه الآن كان الآتي:

بعدما يموت يعود لنقطة الصفر، الساعة العاشرة وتسع دقائق صباحًا في مكتبه، وتستمر الأحداث حتى يواجه الموت بشكل ما، وتغدو هذه مفارقة؛ كَي يعود مرة أخرى لتلافي هذه الكارثة عليه أن يموت!

مَن يفعل هذا، وكيف يحدث؟ هذا ما لم يكتشفه بعد، كان عليه ألا يُضيِّع وقتًا، ارتفع رنين هاتفه؛ فتجاهله، وفتح باب مكتب السكرتيرة نادية ورآها تُخرج المظروفَ من حقيبتها؛ فتغيرت ملامح وجهها لكنه تجاهلها.

ركب المصعد ونزل للمرآب، وتحاشى أن يمرَّ على سيارته، فلا بد أنه سيرى ذلك الضيف الغامض الذي

...

سيجده مختبئًا داخلها، وخاصة أنه نزل في الوقت ذاته الذي نزل فيه المرة السابقة، لكن حين نظر بطرف بصره داخل السيارة لم يجد أحدًا، ولكنه لم يغامر.

تجاوز المرآب واستقل سيارة من شركة توصيل، وشرح للسائق العنوان، ثم استرخى تاركًا عقله نهبًا لأفكارٍ شتى.

أخيرًا أشرف على إطلالة الڤيلا من بعيد، وبدت مشاهدها في ذهنه وهي تغمرها الأضواء، وتضج بصخب المدعوين، والانفجار الذي حوَّلها لحطام صار مجرد صور باهتة تذوب في ضوء الشمس القوي، خفق قلبه وهو يتجاوز بوابة الڤيلا الخارجية، ويقطع ممرها الرئيسي بخطوات واسعة، ثم توقف حين رآهما.

الحق أن كل شيء توقف بالنسبة إليه؛ الزمن، والحركة أيضًا، وأمكنه أن يسمع خفقات قلبه في هذه اللحظة، وربما كانت هي الشيء الوحيد الذي يتحرك.

سلمى وهيثم يستذكران دروسهما تحت ظل شجرة وارفة، وثب نحوهما بشكل بدا مفزعًا واحتضنهما

بشوق جارف؛ بل ودمعت عيناه وكأنه لا يصدق أن قد تُمنح له هذه الفرصة مجددًا، وعلى النقيض كانت الحَيرة والفزع والكثير من التوجس على وجهيهما، تمتمت سلمى بضيق:

- إنكَ تؤلمني يا أبي، وتكاد تحطم ضلوعي!

أفلتهما وهو يمسح دموعه، مبتسمًا في تكلف:

- معذرة... لقد تركت نفسي لعواطفي.

ردد هيثم بعصبية:

- عواطفكَ! عواطفكَ هذه تعمل بشكل غريب يا أبي! فلا أتذكر أنكَ كنتَ تحتضننا بهذه الحميمية، كانت أحضانكَ فاترة لا طعم لها.

صُعقَ غانم لهذه الصراحة؛ أهكذا يرون أحضانه لهما، حين يذهبان للمدرسة بصحبة أمهما؟ فاترة لا طعم لها!

تجمد وقد احمّر وجهه خجلًا، لو قيلت له هذه الجملة القاسية في ظروف أخرى لهوى تقريعًا على رأس

ولده، لكنه الآن يراها من منظور مختلف، نظر لسلمى وقال:

- أليس من المفترض أن تجهزي لحفل عيد ميلادك يا حبيبتي؟

هزت كتفيها:

- أمي تتولى كل شيء يا أبي... والأمر لن يحتاج سوى لتغيير ملابسي وحسب.

كاد يقول شيئًا، لولا ظهور شيماء، هتفت بدهشة حين رأته:

- غانم! لقد أتيتَ مبكرًا.

قال مبتسمًا، مع شيء من الحرج:

- أتأخر.. تقولين: تأخرت! أحضر مبكرًا، تقولين: بكّرت! لا أعرف ما الذي يرضيكِ يا زوجتي العزيزة.

أطلقت ضحكة قصيرة، وقالت:

- لا أقصد... لكني مندهشة... تأتي مبكرًا نصف ساعة، أو ساعة على الأكثر.

ونظرت في ساعتها:

- لكن هذا قدومٌ قبل الأوان بأوان؛ لذا حقَّ عليْ أن أندهش.

ابتعد خطوات؛ حتى يغدو صوته بعيدًا عن ولده وابنته، وقال:

- هل من داعٍ لهذا الحفل؟

قالت بدهشة:

- ماذا دهاك يا رجل! إنه عيد ميلاد ابنتك، إذ إنها تُكمل العاشرة اليوم، وأنت تريد...

قاطعها وهو يرفع يده مُهدئًا:

- أقصد... هل من المحتم أن يكون الحفل هنا؟

قالت بالدهشة ذاتها:

- وأين تحب أن يكون؟

- في قاعة من قاعات الفنادق الفاخرة مثلًا... أرى أن مساحة الفيلا صغيرة نوعًا ما، ونحتاج لمساحة أكبر من أجل المدعوين.

رمقته بنظرة نفاذة، وكأنها تستغرب موقفه، ولا تصدق حرفًا واحدًا من مبرراته، تمالكت أعصابها الثائرة وقالت برفق مفتعل:

- كان من الممكن أن نفعل هذا لو اقترحت اقتراحكَ هذا قبلها بمدة كافية، أمَّا الآن وقد اقترب موعد الحفل فيغدو اقتراحكَ مستحيل التطبيق.

ونفد صبرها وسقط قناع الرفق عن وجهها وهي تهتف بعصبية:

- ثم إننا نقيم الحفل كل عام هنا، فما الذي جدّ هذه المرة؟

لم يكن ليخبرها؛ فلو فعل، فهو يعرف جيدًا ما ستقوله، وهو في غنى عنه على أي حال، أومأ برأسه دلالة على أنه ترك الأمر جانبًا، فرفعت رأسها بشموخ، وراحت تعطي أوامرها للعاملين بخصوص التجهيزات للحفل المقبل.

ألقى غانم نظرة على سلمى وهيثم فإذا هما يرمقانه بنظراتهما الحائرة، وقد بدا أن كل كلمة تفوَّه

بها جانبًا قد وصلت إليهما؛ منحهما ابتسامة دافئة، ثم اتجه لداخل الڤيلا، وهو يعرف جيدًا ماذا سيفعل.

***

لكنه اكتشف لاحقًا أنه لا يعرف ماذا عليه أن يفعل؛ بمعنى أدق لا يعرف مكان القنبلة أو حزمة السي فور لو شاء الدقة! بحث كثيرًا؛ لكن بدا أنه يبحث عن إبرة في كومةٍ من القش، وماذا يفعل في أرجاء الڤيلا الشاسعة، والتي اكتشف أنه لا يعرف أركانها جيدًا، وكل ركن في الواقع يصلح لأن يكون مخبأ ممتازًا للقنبلة؛ حتى إنه شعر بالاستغراب عندما وجد مكتبة في غرفة خلفية، نظر إلى كتبها، وقرأ بعض عناوين الروايات الموجودة فيها ومن بينها رواية جزيرة الكنز التي أحبها في مراهقته، تصفحها قبل أن يخاطب نفسه بشيء من الغضب والسخرية: هل هذا وقت التصفح أيُّها الغبي!

نظر في ساعته ففوجئ أن الحفل قد اقترب كثيرًا، وأن العرق يتصبب من وجهه ويُغرق ثيابه من الجَهد

الذي بذله، ورأى شيماء ترمقه بعينيّ صقر وهي تقول بصوت فحيحي:

- ماذا تفعل؟

لا بد أن أحد العاملين في الڤيلا أخبرها أن زوجها يبحث عن شيء ما كالمجنون، ولم يكلف نفسه حتى بأن يطلبه منهم ببساطة.

قال بتوتر:

- لا شيء... أطمئن على سير الأمور فحسب.

قالت بنبرة مُتهِمة فيها الكثير من الشكوك:

- حقًّا!

ثم انزاحت هذه النظرة من عينيها بغتة، وقالت ببساطة وبنبرة آمرة:

- أعد الكتاب إلى مكانه وغيّر ثيابكَ واستعد؛ المدعوون بدأوا في الحضور واحدًا تلو الآخر.

أومأ برأسه دون أن يجادل، فهو يعلم أين ينتهي بالضبط؛ الكثير من الصراخ والمقاطعة والتشنج، لم

يخطئ الضابط هاشم حين كشف عن خلافاتهما الأخيرة، لدرجة أنه يسمعهما الجيران أنفسهم رغم بُعد المسافات، غيّر ثيابه، وكان الليل قد انسدل، والحضور قد بدأوا في التقاطر، كان حريصًا على أن يستقبل ضيوفه بنفسه على الباب، وقد أثلج هذا صدر شيماء وعبّرت عن هذا بابتسامة عريضة.

ثم رآه يقترب، وقد نزل من سيارته الفاخرة، حين رآه ابتسم في وجهه، وهو يقترب بخطوات حثيثة من الڤيلا، أما هو فقد لاحت على وجهه سحابة مظلمة، لكنه تحامل على نفسه، ورسم على شفتيه ابتسامة باردة، ابتسم فيصل وهو يقول:

- لم تصلني دعوة، لكني وجدتُ أني لا أحتاجها لحفل ميلاد ابنة أخي.

ابتسم غانم بصعوبة وهو يقول:

- بالتأكيد.

حافظَ فيصل على ابتسامته الملتصقة بشفتيه دون أن يُعلِّق بكلمة، ثم عنادًا فيه مدَّ غانم يده في جيبه

وأخرج دفترًا أحمر، وقال:

- أسجل في هذا الدفتر ملاحظات شديـدة الأهمية، تساعدني في كسب صفقاتي في الأشهر الأخيرة كما -ولا بـد أنـكَ- قـد لاحظتَ.

تعلقت عينا فيصل بالدفتر، وقال:

- إذن... فالسر يقطن هنا.

أومأ غانم برأسه، ثم نظر في ساعته، ولاحت في عينيه نظرة ذعر غير متوقعة وهو يهتف:

- لقد مرَّ الوقت سريعًا، لا بد أن...

وفجأة سمع ضجيجًا، وتعلقت عيناه بحجرة في الساحة الخلفية، وقد اندفعت منها كرة لهب عظيمة، ولم يجد وقتًا للصراخ هذه المرة.

***

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

اليوم الخامس

تجمد في جلسته، وكان قد هدأ قليلًا، فلفحُ النار ما زال ألمه يجعل جسمه يقشعر فور أن يتذكره، إلى متى سيستمر هذا الجنون؟

هبَّ من خلف مكتبه وعبر مكتب نادية السكرتيرة حتى دون أن ينظر إليها؛ مما جعلها تقف مرتبكة:

- أستاذ غانم.

لوح بيده دون أن ينطق بكلمة، وتوجه للمرآب، ثم تذكر مَن ينتظره هناك، وهناك كان ينتظر، فتح باب السيارة الخلفي وقال بغضب مكتوم كمَن يبحث عن تفريغ غضبه في شخص ما:

- تأخرتُ عليكَ؟

فزع الرجل وهو يحدِّق إلى غانم غير مصدق، والأخير يجلس جواره ويقول بصوت شخص سيفقد أعصابه عن قريب، وسيغدو كتلة من النار تلتهم كل شيء:

- والآن أخبرني... مَن أرسلكَ؟

تلعثم الرجل:

- مَن تقصد؟ أنا؟ يبدو أن الأمر قد اختلط عليكَ يا سيدي.

رفع غانم أحد حاجبيه بتعجب مفتعل:

- اختلط عليَّ أنا! لاحظ أنني وجدتكَ في سيارتي، فربما اختلطَ عليكَ أنتَ الأمر، ودخلتَ سيارة غير سيارتكَ.

قال الرجل مندفعًا:

- هو ذاك.

أمسكه غانم من عنقه من الخلف، وجعل طبقة جلده بين سبابته وإبهامه وهتف بغيظ:

- لا تختبر صبري... مَن أرسلكَ لتأخذَ الدفتر الأحمر؟

حدَّق الرجل إليه بذعر، كأنما فوجئ بما سمعه، قال غانم ملوحًا بيده:

- نعم أعرف أنكَ تريد الدفتر الأحمر... لكن مَن أرسلكَ لهذه المهمة؟

أطبق الرجل شفتيه، وبدا على وجهه الذعر والألم،

وخاصة أن غانم حرص على أن يحاصره في مقعده، فلا يتحرك إلا لِمامًا، وبشكل ما بدا له أن الهواء نفسه سينفد من فراغ السيارة، مد غانم إصبعيه السبابة والإبهام لجيب الرجل، وأخرج بطاقة هويته الشخصية، تأمل الاسم وقال:

- اسمك حمدون... عرفت اسمكَ ووجهكَ... عظيم... والآن أخبرني مَن الذي له مصلحة في أن يأخذ الدفتر، و...

قطع غانم جملته، وقد اتسعت عيناه ذعرًا، هل من الممكن أن...

يتذكر الآن عينيّ فيصل وهما تتركزان على الدفتر، وبدا أنه مهتم به للغاية، لكن كيف يحدث هذا، وهو لم يعرف عنه إلا أمس!

بدا عليه الارتباك، وهو يقول لحمدون:

- هل هو فيصل؟

اتسعت عينا الرجل، لم يعرف غانم هل هي دهشة أم حيرة أم ماذا؟ لكن لو كان فيصل هو مَن أرسله،

فكيف يحدث هذا؟

يعلم فيصل بشيء لم يكن يعلمه، ثم في اليوم التالي يرسل مَن يسرقه! لكن هذا لم يحدث؛ لأن حمدون كان موجودًا في اليوم الثاني أو الثالث، أي قبل أن يخبر فيصل أساسًا!

كيف؟

هذه الحيرة المبتدية على وجهه، والشرود جعل حمدون يغتنم الفرصة ويدفع باب السيارة ويولي هاربًا، لم يهتم غانم بهروبه، قال لنفسه بأنه لو ظل يفكر في هذا كثيرًا فسينجرف عقله من التفكير، الآن أمامه مهمة بعينها.

شغل سيارته وانطلق نحو الڤيلا، كان يعرف ما سيفعله جيدًا، كان هيثم وأخته سلمى في الحديقة يستذكران دروسهما، وفور أن وقع بصر سلمى عليه حتى هبت من جلستها واندفعت نحوه وعانقته بشوق وهي تُتمتم:

- أبي.

حدَّق إليها مذهولًا، هذا شيء لم يحدث من قبل، بدا عليه الارتباك والسعادة في الوقت نفسه، بينما هيثم ينهض أيضًا وحسب أنه سيندفع في حضنه كأخته، لكنه لم يفعل؛ بل أحنى رأسه برصانة وقال:

- كيف حالكَ يا أبي؟

ويبدو أن شيماء كانت مندهشة لهذا التصرف، وقبل أن تهم بالنطق بكلمة قال على الفور:

- اتركوا الڤيلا حالًا.

هتفت شيماء فيه:

- ماذا تقصد؟

صرخ فيهم:

- الڤيلا لم تعد آمنة... أنتم في خطر... لا بد أن تغادروا فورًا.

فجأة أمسكته زوجته من ذراعه وسحبته لركن بعيد، وقالت بغلظة برغم صوتها المنخفض:

- ماذا تقول! هل أصابك الجنون يا غانم!

لوح بيده بعصبية:

- أنتِ لا تعرفين ما الذي سيحدث الساعة السابعة.

قالت بصرامة:

- وما الذي سيحدث في الساعة السابعة؟

كوَّن بيديه دائرة كبيرة وهو يقول:

- انفجار كبير مروع سينسف الڤيلا بما فيها.

وابتلع ريقه وهو يتذكر المرات كلها التي انفجرت فيها الڤيلا، وحوَّلتها لركام وهو يُكمل بصوت منخفض:

- ومَن فيها.

رمقته بصمت مندهش، ثم قالت:

- هل أنتَ في وعيكَ؟

قال بعصبية:

- هل ترينني سكرانًا؟

- ما تقوله يتناسب مع السّكارى أكثر.

قال بلهجة أقرب للرجاء:

- صدقيني يا شيماء... هناك خطر رهيب سيحيق بالڤيلا في الساعة السابعة؛ لذلك لا بد من تركها... صدقيني.

- قنبلة مدمرة! هاه! مَن وضعها؟ ولماذا؟

قال بعصبية وهو يلوح بيديه بيأس:

- لا أعرف... ما أعرفه كله أنه من المؤكد أنها ستنفجر في السابعة... أرجوكِ صدقيني... وأنقذيهما من ذاك الخطر.

كانت تحدق إليه في هذه اللحظة كما لو أنها تراه لأول مرة منذ زمن بعيد بشكل مختلف... بدا عليها الأسى والحزن في ردة فعل غير متوقعة منها بالمرة، وكأنَّ هذه نهاية حتمية له في نهاية المطاف، وكانت تنتظرها بشكل أو بآخر؛ رفعت رأسها بشموخ وهي تقول بنبرة ذات مغزى، وقد حرصت أن تكون بصوتٍ عالٍ هذه المرة:

- سأذهب لأتمم على تفاصيل الحفل يا زوجي العزيز.

وأدارت ظهرها إليه وتركته، تهدلت كتفاه وقد أدرك أنه لم يقنعها البتة.

ظل يراقب عائلته ويتشرب ملامحهم في ذهنه، ويحفظ من تحركاتهما الكثير، فها هي سلمى تضع عدة خطوط تحت ما تستذكره، بينما هيثم يثرثر كثيرًا ويضحك، فتلكزه في كتفه طالبة منه أن يصمت؛ تفاصيل صغيرة جعلته يبتسم، لكنه كان يعلم أن قلبه سيبكي بعد قليل؛ لذا انسحب بهدوء خارج الڤيلا وأولى ظهره للڤيلا، وحين شارفت الساعة على السابعة أغمض عينيه، ووضع يده على قلبه الذي تسارعت نبضاته بشكل مفزع، ثم دوى الانفجار الذي كان يتوقعه على أي حال.

هل يمكن وصف الألم من تَكراره؟ يكاد يكون هذا مستحيلًا، كم ظلّ على هذه الحالة من السكون! لا يعرف، كانت الشرطة قد أتت ومن قبلها المطافئ والإسعاف، استسلم لهم وهم يواسونه، وهو ينظر لهم بنظرة خاوية، وكأنه لا فائدة من هذا كله، اقترب

...

منه هاشم وهو يحمل الحزمة الذائبة وقال بأسف متعجب:

- حزمة سي فور شديدة التفجير.

سأله بشكل مباشر، ودون أن تبدو عليه ذرة من الدهشة أو الحيرة أو عدم الفهم حتى:

- أين وجدتموها بالضبط؟

تأمله هاشم بدهشة حائرة، لكنه أجابه:

- في غرفة مخزن المواد الغذائية، هذه التي...

قاطعه غانم بخشونة:

- أعلم ما هي هذه الغرفة يا حضرة الضابط هاشم.

حدق إليه هاشم بدهشة، ثم قال بنبرة حذرة:

- أتعرفني! هل تقابلنا من قبل؟

ابتسم غانم دون أن يجيب، فقط صمت لبرهة، ثم قال:

- أين وجدتموها بالضبط في هذا المخزن اللعين؟

...

أجابه هاشم:

- تحت مقعد مكسور في ركن الحجرة تحت النافذة الشمالية.

ابتلع ريقه، الآن عرف أين توجد حزمة التفجير المدمرة هذه، ذهب للفندق ومكث فيه، وانتظر قدوم نادية بالثياب التي طلبها، ودُق الباب؛ ففتحه ووجد العامل يحمل حقيبة بلاستيكية صغيرة وهو يقول:

- الآنسة نا...

قاطعه وهو يدس في يده بعض الدنانير:

- أعلم... أشكركَ.

وأخذ الحقيبة منه وأغلق الباب خلفه، غيّر ثيابه ثم غرق في نوم عميق، وحين استيقظ كان ينتظر المكالمة المرتقبة:

- نريدكَ في القسم يا أستاذ غانم.

هكذا أتاه صوت هاشم الصارم؛ أجابه بهدوء:

- سأكون عندكَ خلال ساعة على الأكثر يا

...

حضرة الضابط.

وبالفعل لم يتأخر عن ساعة، كان الجو مشحونًا كما توقع؛ بل كما يعرف لأنه مرَّ بهذا المشهد ببساطة من قبل وبحذافيره، قبل أن ينطق هاشم بكلمة قال بضجر:

- أعلم أنكم وجدتم بصماتي على الحزمة المتفجرة، وأنكم تعرفون بشجاري مع زوجتي شيماء، وأنكم تشكّون فيَّ... لا أريد أن أضيّع وقتكم أو وقتي... اقبضوا عليَّ، هيا.

تجاهل دهشتهم وتساؤلاتهم ونظراتهم، فبالنسبة له كانت متوقعة، ما يريده كله أن ينتهي كل شيء بسرعة، مرت الأحداث بسرعة، وأخيرًا كانت سيارة الشرطة مقلوبة، وهو مقلوب معها، حين لمح الرجل يشعل سيجارته و...

وكان الألم رهيبًا.

***

...

اليوم السادس

لم يُضِع وقتًا؛ نزل من مكتبه متجهًا للمرآب ودخل سيارته، والتفت للخلف وقد تذكر الرجل الذي ينتظره، ولدهشته لم يجده؛ ابتلع ريقه بتوتر، هل أتى مبكرًا؟

توجه للڤيلا؛ حيث كان هيثم وسلمى يستذكران دروسهما، حين لمحاه بدت نظرة خوف على وجهيهما، فأثار هذا دهشته، أليس من المفترض أن تهب سلمى لعناقه كما فعلت سابقًا، لقد تغير شيء ما عن المرة الفائتة، لم يكن لديه وقت للتفكير في هذه التفاصيل الصغيرة، فما يهمه كله الآن هو العثور على المصيبة الأكبر؛ حزمة السي فور المتفجرة.

توجّه لحجرة مخزن المواد الغذائية فوجدها مغلقة؛ بحث بصره عن شيء، ولمح كماشة فوضعها في القفل الصدئ وشدّ عليها؛ فانكسر وفُتح البابُ كاشفًا عن أسراره؛ كانت الحزمة المتفجرة تنتظره هناك؛ فانحنى وأمسكها بلهفة، ثم وضعها في حقيبة ورقية صغيرة أتى بها في جيبه، وقرر أن يضعها في

ركن بعيد جدًّا عن الحديقة، بحيث لو حدث ذلك الانفجار المروع، فسيكون أشبه بألعاب نارية مخيفة تضيء السماء وترجّ الأرض، وتضفي المزيد من البهجة والإثارة على حفل ابنته.

والحق أن مجرد الفكرة نفسها أبهجته، وهو يعود للڤيلا كان قد فكر في الاتصال بالشرطة وتسليمهم الحزمة المتفجرة، لكن هذا معناه سين وجيم، وغالبًا سيُلغى حفل عيد ميلاد ابنته وهو لن يغامر بهذا، بعد أن وجد الخطر ذاته وحيّده بعيدًا، على الأقل مؤقتًا.

دخل الڤيلا وصعد للطابق العلوي واقترب من حجرته، وحين سمع صوتًا بالداخل تعجب من هذا، فسلمى وهيثم -ما زالا- بالحديقة، فمَنْ مع زوجته؟ ثم خطر في باله أنها تتكلم في الهاتف، كاد أن يُكمل طريقه ويدفع الباب كعادته، لكن عروقه تجمدت من الصدمة حين سمعها تقول:

- أخبرتكَ من قبل أن غانم توقف عن مشاركتي أفكاره... مشاجراتنا واختلاف أفكارنا زوّدا الهوة

بيننا... فهل تتوقع أن يشاركني ما يفكر فيه! لقد حاولت أيها الأحمق كثيرًا معرفة ذلك، لكني فشلت... لكن اطمئن... حتمًا سأجد طريقة لأعرف كل شيء.

توقف مبهوتًا، هل شيماء جاسوسة عليه؟

***

ارتدي ثيابه، ورسم ابتسامة سخيفة على وجهه، وقال بصوت خفيض وهو ينزل السلم:

- هذا من أجلك يا سلمى.

كانت زوجته كزهرة متألقة وهي ترحب بهذا، وتسلم على هذه، قال لنفسه إن لزوجته جانبًا مخيفًا بدأ بالكاد معرفته.

كانت زيجته زيجة مصالح في المقام الأول؛ هو طموح، وهي طموحة، لكن لأن طموحه أكبر منها بمراحل فقد سلمت القيادة له، وهي عالمة بأنه سيحقق أحلام الثراء الوردية، وقلبه لم يكن ينبض بالحب، إذ كان عمليًا في أفكاره وتصرفاته، جاد في اكتسابه للمعلومة وتطبيقها، وكان يؤمن بأن الثراء

يتحقق بالعمل المستمر، والإخلاص الدؤوب الذي لا يكلّ ولا يملّ، وهو يعرف أن هذا ما لفت نظر شيماء إليه؛ كانت تريد منه شيئًا، وكان يريد منها شيئًا...

صفقة رابحة إذن.

فلمَ يشعر الآن أنه أخطأ في تلك الصفقة؟

لفت نظره رجل حليق الوجه والرأس، تنعكس أضواء الڤيلا القوية المبهرة على صلعته، وكان يرتدي زيًّا يشبه زي الهنود، ملامحه عربية دون شكّ، لكن يبدو أنه يلعب دورًا في هذا الحفل، يُشبه أدوار المهرجين والمستبصرين.

- اسمه غرك سفيد.

أتاه صوت فيصل المفعم بالحيوية؛ فاستدار إليه، وبدا على وجهه الضيق حين رأى وجهه.

- مَن دعاكَ لهنا؟

أبرز فيصل دعوته، وقال:

- مَن تعتقد؟

عضَّ غانم على شفتيه:

- آه... زوجتي.

هزَّ فيصل كتفيه في لامبالاة:

- إنها تريد التعرف على شريككَ السابق في العمل، تعرف أني أخذتُ مقرًا جديدًا لشركتي... أنتَ تعرف العنوان، أطمح لزيارة منكَ قريبًا.

قال غانم باقتضاب:

- لن يحدث.

ضحك فيصل ضحكة عالية رنانة، جعلت غانم يتلفت حوله، فوجد الحضور يختلسون النظر إليه بدهشة حائرة وهم يتهامسون؛ فبدا عليه الضيق، ضحكة فيصل المقيتة كفيلة بهذا وأكثر، أراد الخروج من هذا المأزق بفتح موضوع آخر؛ فقال:

- وماذا يفعل غرك سفيد؟

تأمل فيصل الحاضرين:

- يقولون إنه يقرأ الطالع.

واستدار نحو غانم، وقال:

- لمَ لا تدعه يقرأ طالعكَ؟

قال غانم بخشونة:

- هذه تفاهات لا يصدقها إلا السطحيين أولًا، وثانيًا أشك أنه سيعرف شيئًا، فما عندي فوق قدراته.

أطلق فيصل ضحكة أخرى، وقال:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

- لهذه الدرجة يْحتفظ سيد الأسرار بأسراره المظلمة بداخله لدرجة أنه لا يثق في الآخرين؟

قال غانم ببرود:

- ربما.

ظهر غرك سفيد فوق مسرح صغير أُعِدَّ في ركن الصالة الواسعة، وقال وقد تسلطت الأضواء عليه:

- أنا غرك سفيد... أقرأ طالع مَن يريدون المعرفة... فمَن يريد قراءة طالعه؟

همس المدعوون بمرح، وكل منهم يدفع الآخر لفعلها من باب الدعابة والضحك، نظرت شيماء حولها

وهي مبتسمة، وقد بدا أنه لو ظلّ الحاضرون على ترددهم هذا فلن يفعلوا شيئًا، فاستدارت وقالت مشيرة لابنتها سلمى:

- ولما لا تقرأ طالع عروستي الصغيرة سلمى؟ إنها نجمة الليلة، أليس كذلك؟

ارتفع تصفيق المدعوين، وقد انفرجتْ أساريرهم حين زال عنهم الحرج، بينما شحب وجه سلمى وهي تقول بخجل:

- لا داعي لهذا يا أمي... يمكنه قراءة طالع هيثم... أو حتى طالعكِ أنتِ.

قالت جَدتها بمرح:

- هذه فكرة جيدة... فليقرأ طالعكِ أولًا يا سلمى... وطالع البقية من الحاضرين.

صفق الحاضرون مجددًا، وبدا الاستسلام على وجه سلمى وهي تجلس أمام غرك سفيد، الذي قال بهدوء:

- مُدي يدكِ للأمام يا آنسة.

مدت سلمى يدها بتردد شديد، فظلت تفتح يدها ثم تبسطها مرة أخرى وكأنها تخشى شيئًا، ابتسم غرك سفيد برقة، وكأنه يمنحها بعض الأمان، ثم مد يده المبسوطة فوق يد سلمى الهادئة دون أن يلمسها، وأغمض عينيه، وقال:

- نقية القلبِ أنتِ... طاهرة مثل سحابة صيف ماطرة في يوم جاف.

تمتم غانم:

- بالطبع... هي كذلك.

وفجأة تمعَّر وجه غرك سفيد، وقال بصوت فقد نبرة الاطمئنان هذه:

- لكن يوجد في طريقكِ شيطان ينتظركِ... شيطان وسيم المظهر، حلو الكلام، خبيث النوايا... وفي نيته أن يدمركِ حتى تصبحي حُطامًا؛ فاحذري منه... احذري منه.

ساد لغط، وتعالى هرج ومرج، وشيماء تسحب ابنتها لحضنها، وتقول بعصبية:

- ماذا تقول أيها الدجال!

قال غرك سفيد ملوحًا بيده معتذرًا:

- أقول ما أراه يا سيدتي... أم من المفترض أن أخدعكم.

رمقته بنظرة نارية، وقالت:

- لقد انتهت فقرتكَ هنا... اجمع حاجياتكَ، وارحل.

ظهرت أمها، وقالت:

- دعي الرجل يتكسب من حرفته يا شيماء... ومن فينا لا يوجد في حياته شيطان ينتظره في الظلام ليُحيل حياته لجحيم... هذا كلامهم حتى يثير التساؤلات ويدفعكِ للتصديق.

ضحك الحاضرون، وأومأوا برؤوسهم موافقين؛ مما جعل شيماء تهدأ قليلًا، وأم شيماء تُكمل:

- لكن تكفي سلمى، وإن شئتَ أن تُزيد، فما

رأيك أن...

وأشارت لغانم قائلة بمرح:

- أن تقرأ طالع زوج ابنتي العزيز؟

***

استدارت الأعين إليه بفضول جارف، وهم يترقبون ردة فعله، بدا أن الكل خائف من هذا المستبصر -كما يقول عن نفسه-، وأن لكلِّ واحد لديه ما يخفيه عن الآخرين، لكن ردة فعل فيصل كانت مستفزة فعلًا، وهو يطلق ضحكة ساخرة عالية:

- جاء مَن يهدم معبد سيد الأسرار.

رمقه غانم بضيق، وكأنه يقول له: (كأن هذا ينقصني).

لكنه من أجل ابنته، رسم على وجهه ابتسامة مرحبة، وهو يخطو بين الحضور، ثم يجلس أمام غرك سفيد الذِي منحه ابتسامة وادعة، ثم قال:

- ابسط يدكَ يا أستاذ غانم.

...

نفَّذ غانم ما طلبه، أو ما أُمر به على وجه الدقة، وحاول -بقدر الإمكان- أن يبدو واثقًا من نفسه، لكنه كان يشتعل من داخله؛ فقال لنفسه إن أنقذ عائلته والڤيلا ومَن فيها من خطر الانفجار المميت، لهو شيء يستحق الاحتفال، حتى لو كان مع مستبصر يدَّعي أنه يعرف أكثر مما يعرف غيره.

تلاقى حاجباه، وكأنه مندهش مما يراه أو يستبصره:

- يوجد سر تحتفظ به في عقلكَ... الحق أنهم ثلاثة أسرار يرتبطون ببعضهم البعض، سر تعرف أنه سر، وسر أُنسيتَ أنه سر، وسر يعرفكَ وأنتَ لا تعرفه.

تعالت ضحكات الحضور، بينما ابتسم غانم؛ إنه مزيد من الهراء ليس إلا، تلاقى حاجبا غرك سفيد، وهو يقول:

- لا أفهم ما أراه بالضبط.

تعالى ضحك الحضور أكثر، بينما ألقى غانم نظرة على فيصل، فإذا هو جالس يرتشف عصيره، وبدا أنه مستمتع بما يراه، جلس غانم بعيدًا عن الضجيج، فأتى

فيصل وجلس بالقرب منه في زاوية خفية نوعًا ما بعيدة عن أعين الناظرين، وقال بنبرة ذات مغزى:

- ثلاثة أسرار دفعة واحدة! أتعجب أنها ليست أكثر من هذا.

منحه غانم ابتسامة باردة، بينما استطرد فيصل:

- ليس من المعقول أن يكون السرّ القابع بعقلكَ هو ما حدث هنالك... أليس كذلك؟

قال غانم ببرود:

- ربما.

طقطق فيصل بلسانه:

- لا تقل هذا، فلو كان هذا ما يقصده هذا الغرك سفيد، فمعنى هذا أن ثالثًا يعرف ما جرى، وبالتالي فهو خطر على سلامتنا معًا.

ردد غانم في استنكار:

- سلامتنا معًا!

ثم استدار نحو فيصل، وقال بصوت يضطرم غيظًا:

- مشاكلي الحالية تفوق ما تفكر فيه يا فيصل.

ثم استطرد بضيق:

- وهل وصلت بكَ الجرأة لأن تهدد حياة شخص بريء مثله؟

قال فيصل بسرعة:

- ما يعرفه يجعله خطيرًا علينا... تذكَّر هذا... المعرفة خطر عظيم.

ثم ألقى نظرة على شيماء القادمة من بعيد:

- أتركك لزوجتكَ أيُّها الهُمام.

ونهض ليندمج في الحشد من الناحية الأخرى، ووقفت شيماء وقالت بدهشة:

- مَنْ كنتَ تُحدِّث؟

كاد يخبرها أنه فيصل، ثم أحجم، صحيح أنها دعته، لكنه لا يريد أن يفتح في الحديث عنه، وخاصة أن هذا سيستجلب التحدث معه، قال وهو يبتسم:

- كنت أحادث نفسي، تعلمين أنها لن تجهدني في الجدال كما تفعلين أنتِ.

رمته بنظرة لوم، وقالت له:

- حان الوقت لإطفاء الشموع.

نظر في ساعته، وقال:

- بهذه السرعة!

ثم تذكَّر الحزمة المتفجرة، وانتابه قلق، قال لنفسه إنها ستكون خطرًا لو مرَّ أحد في هذه اللحظة بالقرب منها، فكرة أن تتحول لألعاب نارية هذه، كانت مبالغة في التفكير منه، صوتها المدوي المرعب كفيل ببث الرعب في القلوب، ولن يكون هذا لطيفًا في حفل ميلاد ابنته، هذه كلها أسباب جعلته يترك شيماء الواقفة بذهول، ويتجه للحديقة، وهو يحاول أن يتذكر أين وضع الحزمة المتفجرة، نعم وضعها بالقرب من شجرة الصفصاف الصغيرة، بحث عن الشجرة حتى وجدها، ثم ارتفع حاجباه في دهشة حين لم يجد الحزمة ذاتها؛ انتابه رعب، وراح يبحث بيديه وببصره،

وهو يخشى أن يكون أحد قد أخذها فتميته بانفجارها.

شعر بالارتباك وهو يهرول ناحية الفيلا مجددًا، وفجأة دوى انفجار هائل أحال منزله لُحطام، فوقف متجمدًا، ورأى هذا القائم المعدني الذي يطير نحوه بسرعة بالغة، وينغرس في صدره.

***

انتفض بغتة، وبهره الضوء الذي اخترق عينيه كمسامير من نار، وذلك الألم في صدره يجعله يصرخ، لكن الصرخة لا تخرج من جوفه للأسف، بل تظل حبيسة هناك، أخيرًا وجد في نفسه القدرة على أن يتمتم:

- أين أنا؟

طرح سؤاله، ثم بدأت حدة الأضواء تخفت، ريثما بدأت عيناه تستوعبان الأشياء، وكان الاستنتاج الثاني له أنه لم يمت بعد، وتوصل لهذه النتيجة بعد الاستنتاج الأول أنه في مستشفى، أطل عليه وجه رجل بشوش، بدا من زيه والسماعة المتدلية على صدره أنه طبيب، قال له بلهجة فيها مواساة:

- لقد نجوت بصعوبة يا أستاذ غانم من الموت.

نظر إليه بعينين خاويتين، آخر ما يتذكره هذا القائم المعدني وهو ينغرس في صدره، ويتسبب له في آلام كاسحة لا تُطاق، ثم الظلام، الذي كان يعقبه الموت عادة، لكن في حالته كان من المفترض أن يعود للمكتب في ساعة معينة، لكن هذا لم يحدث، لأنه نجا.

نجا!

هل نجا فعلًا؟ لماذا لا يشعر أنه كذلك؟ إنه يظل حيًّا بعد رحيلهم كيف يمكن أن تُسمَّى هذه نجاة!

أُجريت له عملية جراحية دقيقة، وكانت نادية نِعم السكرتيرة له طوال الليلة التي بدت طويلة إلى ما لا نهاية، ولم تتركه للحظة واحدة، أمكنه خلال رقاده على الفراش أن يبحر في عشرات الاستنتاجات ويحاول استجلاء حقيقتها، وقد توصل إلى عدة مُعطيات وحقائق.

الأول: أن هناك مَن يترصده، وهذا الشخص الذي يترصده يظنه قاتلًا؛ بل ويقوم بتهديده بأنه سيدفع

الثمن.

والثاني: أنه محبوس في يوم بعينه، وأنه يعود للنقطة ذاتها؛ (الساعة العاشرة وتسع دقائق صباحًا) بعد كل مرة يموت فيها، فماذا لو لم يمت؟

وهل معنى ذلك أن مَن هدده بدفع الثمن هو الشخص ذاته، أم أنه شيء آخر تصادف مع وجود هذا التهديد الغامض؟

والثالث: أن ثَمَّ شيء متعلق بزوجته شيماء، شيء لا يدرك سره، لكن يريد معرفته بلا ريب، لكن كيف يمكن معرفته وهو مسجون في المستشفى بين العلاج والألم، والذكريات والنسيان!

والرابع (وهو أهم شيء): أنه لاحظ وجود تغييرات، لكنها تغييرات غير خطية؛ أي أنها ليست مقترنة بسبب ونتيجة على الفور؛ بل قد تسبق النتيجة السبب، حدث هذا في موضوع الدفتر، والذي كان يحتفظ به سرًّا، لكن فجأة أتى مَن يسرقه منه بعد أن خدَّره في سيارته، فكيف عرف هذا؟ بعد هذا وفي أحد تكرارات

هذا اليوم تكلف عن الدفتر لصديقه فيصل، والذي بدا أنه مهتم به بشكل غير طبيعي؛ أي أن فيصل هو مَن أرسل اللص، معنى هذا أن الزمن ليس خطيًّا؛ أي أنه لا ينطلق من (أ) ويمر بالنقطة (ب)، ثم ينتهي بالنقطة (ج)؛ بل يمكن أن ينطلق من (ج)، ويمر بالنقطة (أ)، ثم يستقر في النقطة (ب)! زمن متعرج فوضوي، لكن تحكمه قوانين السببية.

شيء آخر يؤكد نظريته هذه، فحين قابل سلمى كانت متوجسة منه، ثم حين تبسط معها هي وأخيها أتت في يوم مكرر آخر وعانقته بلهفة، وكأنَّ حديثه السابق معها قد ألقى حجرًا في المياه الراكدة.

حتى لو لم تكن سلمى تعرف بهذا؛ لكنه تغيير محسوس ومرصود، فكيف يمكن أن تساعده هذه المعطيات في المأزق الغارق فيه حتى النخاع الآن؟

***

في الساعة الثامنة صباحًا استطاع الخروج من المستشفى، وتوجه لزيارتهم، توقف أمام المقابر،

والنسيم يضرب وجهه برفق، كانت نادية تقول إنه في سابقة نادرة تم السماح لرفات عائلته المحترقة بالدفن في المقابر دون تأخير، وفي العادة كانت الجثث المحترقة تخضع لتشريح دقيق، لكن لكل قاعدة استثناء، وخاصة أنه لم يتبقَ منهم الكثير، كانت الجنازة في السابعة صباحًا، أما هو فقد وصل في التاسعة وخمس دقائق، ووجد نفسه ينخرط في موجة عنيفة من البكاء، لكن بدون قطرة دمع واحدة؛ فقط نهنهة بدون أثر يدل عليها، إلا لو كان وجهه الشاحب، وعيناه اللتان سكن فيهما حزن عميق تكفيان!

فكرة وقوفه أمام رفاتهم تجعل قلبه يتمزق لألف قطعة؛ جثا على ركبتيه، وتحسس الشواهد المصقولة، وكأن صاعقة من الكهرباء الخفيفة مرت بأعضائه، كان هناك غضب عارم، غضب من نفسه، ومن ذلك الغامض الذي حبسه في يوم متكرر، وكأنه ينال عقابًا من نوع خاص جدًّا، وغضب من الغموض المحيط حوله الذي يصنع ظلالًا خادعة متجمعة، تتشكل في أكثر من صورة، وتبعث فيه أكثر من حيرة، ثم سمع هذه

الخطوات خلفه.

استدار؛ فرأى ثلاثة رجال، كانوا يبتسمون بشراسة مَن ينتوي به شرًّا، لكن العجيب أنه ميّز منهم وجهًا يعرفه؛ الشاب الذي أتى لسرقة دفتره من قبل، حمدون.

هتف:

- أنتَ!

أشار حمدون لنفسه، وقال وهو يضحكَ بافتعال:

- تقصدني أنا؟

قال غانم بلامبالاة:

- ألم تكن تريد سرقتي منذ شهر أو أكثر؟ يبدو أن أحدهم قد أخبركَ أن تسرق دفتري الأحمر، لكنكَ أخفقتَ، انتظر... أتذكَّر اسمكَ جيدًا... حمدون... أليس كذلك؟ ورقم هوتيك هو...

بدا التوتر على حمدون وهو يقول متبادلًا نظرة فأر حبيس مع رفيقيه:

- كيف عرفتَ هذا؟ تكلم... ثم إني لم أقابلكَ أصلاً من قبل!

تجاهله غانم وأدار بصره فيهم قائلًا:

- واضح أن قدومكم هنا ليس صدفة... هذه الوجوه العكرة الجشعة لا يُرجى من ورائها خير.

ابتسم حمدون:

- تعطيني سببًا لتنفيذ ما أُمرت به دون أن أشعر بضميري وهو يؤلمني.

قال غانم ساخرًا:

- وهل تملك واحدًا؟

صرخ حمدون:

- يبدو أنكَ تريد الموت.

قابله غانم بنظرة متحدية، ثم تردد صدى الجملة في ذهنه، فجعلت عينيه تبرقان، وكأنَّ كلام الفتى أوقظ شيئًا ما بداخله.

هز غانم كتفيه:

- حتى لو أردته... فأشك أن ثلاثة حمقى مثلكم يمكنهم تحقيق هذه الأمنية.

هنا انفجر الثلاثة غضبًا وهم يتحركون نحو غانم بشراسة الثيران الغاضبة، لو كانت الأخيرة تُغضِب أصلًا؛ ولأن هناك كمية من الغضب المستعر في جوف غانم، فقد وجدها فرصة لكي يفرغها في ردِّ العدوان على هؤلاء الثلاثة، وأبلى بلاءً حسنًا؛ فقد كسر أنفين وفكًّا، وعضّ أحدهم في أذنه.

لكن الكثرة تغلب الشجاعة، وفي النهاية استلقى غانم على الأرض العشبية والدم يسيل من كل بوصة من جسمه، ومع ذلك فقد وجد في نفسه القوة أن يلكز أحدهم في قصبة ساقه، وكانت الضربة من القوة بحيث جنّ جنون صاحبها، فنهض وعيناه تلتمعان بلون الدم، وأمسك برأس غانم وهوى به على شاهد ابنته سلمى المصقول.

***

اليوم السابع

يمكن تفهُّم كيف أن غانم قد انخرط في بكاء عنيف مكتوم حين عاد للمكتب مرة أخرى، وكالعادة كانت الساعة تشير للعاشرة وتسع دقائق.

ما كان يخشاه كله أن تسمعه نادية وهو يبكي، ومن حسن الحظ أنها لم تفعل، أو تظاهرت أنها لم تسمعه.

في الحالتين مكث لربع ساعة تقريبًا يبكي، وكأنْ شحنة الدموع المختزنة بداخله منذ بَدأ هذا الأمر قد وجدت طريقها للخروج أخيرًا، الآن عليه أن يكتحل برؤيتهم بعد أن حُرم منهم لشهرين ونصف مروا عليه كدهر كامل؛ هبَّ من خلف مكتبه، وغادر مبنى الشركة للمرآب، وكان ينوى الذهاب مباشرة لسيارته، لكنه توقف وهو ينظر حوله بحذر شديد بحثًا عن...

حمدون.

وكان هناك يقف خلف أحد الأعمدة، تذكر هجومه عليه في المقابر، وشراسته في القضاء عليه، تسلل

2575565132

غانم من الخلف، ثم أمسكه من رأسه وهوى به على العمود ذاته، وكانت الضربة من القوة والمباغتة بحيث أفقدته الوعي، وسال خيط من الدم من وجهه، تركه ملقى هكذا، واتصل على الشرطة مبلغًا عن مجرم يشتبه في سلوكه، فاقدًا لوعيه في مرآب شركة، وأعطاهم العنوان، ثم توجه للڤيلا؛ فقابلته مدبرة المنزل الآسيوية بابتسامة دهشة، سألها عن زوجته فقالت إنها قد غادرتْ الڤيلا، حك ذقنه في حيرة، طلبها مجددًا فألغت المكالمة للمرة الثانية، صعد للطابق العلوي، ودخل حجرة سلمى.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية، وهو يتجول في الحجرة، التي اشترى فيها كل قطعة بنفسه، كان يهتم بسلمى وهي طفلة أكثر، لكنه الآن لا يكاد يراها، بسبب العمل، وإدارته لكل صغيرة وكبيرة، إذ إن شركة المقاولات التي أسسها صارت الآن من أهم الشركات في الكويت، وهو يريد الحفاظ على هذا النجاح لأقصى حد ممكن، تجول في أنحاء الحجرة، وتوقف بصره عند جدول المحاضرات الأسبوعي المعلق

على الجدار بأسماء المواد ومواعيدها.

ثم ألقى نظرة على الكتب الكثيرة المتراصة، كان قد عرض عليها سابقًا عمل حجرة مكتب أنيقة تستذكر فيها دروسها، وخاصة أنها في السنة الأولى من كلية الطب، لكنها رفضت، وقالت إنها تحب أن تحيط بها الكتب من كل جهة، وأنه سيكون من اليسر أن تمد يدها لأيِّ كتاب وهي راقدة على فراشها، دون أن تُتعب نفسها بالبحث على الأرفف الخشبية، يذكر أنه أطلق ضحكة قصيرة حينذاك، وهو يضرب بكفيه متعجبًا؛ لقد كبرت طفلته وصارت فتاة يافعة رائعة، لكنه -ما زال- يراها الطفلة نفسها ذات الضفيرتين.

لفت نظره هاتفها المحمول وهو ملقى على الطاولة، وقد بدا نصفه لبصره، بينما اختفى الآخر تحت كتاب لتعليم اللغة الفارسية، أمسك الهاتف بحذر وهو يتساءل عن السبب الذي يجعل سلمى تنسى هاتفها المحمول في حجرتها، إنها تعتبره خزانتها الخاصة التي يجب ألا يفتحها أحد.

كان مغلقًا بطبيعة الحال، وإن ظهرت عدة إشعارات عن رسائل تظهر على الواتساب من شخص يُدعى الذئب الأبيض!

الاسم دق جرسًا قديمًا في ذاكرته، الذئب الأبيض!

آه، لقد تذكَّر الذئب الأبيض الضخم الذي قابله ذات مرة في تَكرار أول يوم، يا لها من مصادفة إذن!

همَّ بوضع الهاتِف على الطاولة مجددًا، لكن توارد الرسائل بهذه الكثافة، ومن اسم كهذا، وترك سلمى للهاتف نسيانًا أو عمدًا جعله يقرر قراءة هذه الرسائل.

لكن كيف؟ راح يجرب أكثر من رقم، يقفل الهاتف لدقائق ثم يفتح مجددًا، سأل نفسه مرارًا فيما يمكن أن تكون كلمة السرّ، ثم تذكِر يوم ميلادها، وضع الرقم، ففُتح الهاتفُ، وعرض ما بداخله، واقشعر جلد غانم في غضب، فما رآه كان بشعًا لأقصى حد.

***

غلى الدم في عروقه، فقد كانت تفاصيل الدردشات مخيفة، وخلاصتها أن سلمى (ذات الثمانية عشرة عامًا)

قد تعرفت على شاب، وهذا الأخير استغلها أسوأ استغلال، فمن خلال الرسائل المرسلة زرع في هاتفها فيروسًا يتجسس على مخزون هاتفها من صورها الشخصية، التي لا يصلح أن يراها أحد إلا هي وأمها.

ثم شرع في ابتزازها ماديًّا وعاطفيًّا، وبدا أن سلمى تقاوم بشراسة من رفض وتوبيخ وتهديد، هذا كله كان غانم يقرأه وهو ينتفض في جلسته كأنما يسري تحت جلده جيش من النمل، ثم وقف حين لم يعد يحتمل الجلوس.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

الوغد!

ضم قبضته بقوة، وتخيل أنه يحطم رأسه على أقرب جدار صلب، هبط للطابق الأرضي واستدعى مديرة الفيلا الآسيوية، والتي كانت تجيد العربية بشكل معقول، ومن خلال سؤالها عن حالة سلمى في الفترة الأخيرة أكدت أنها شاردة، وثمة روح من الكآبة والحزن تظلل عليها.

اتصل بشيماء فألغت المكالمة؛ مما جعل غيظه

يستعر، وهنا قرر الذهاب لابنته في الكلية.

***

أوقف سيارته أمام الكلية وعبر بوابة الأمن بعد أن أفصح عن هويته، ودخل للحرم الجامعي، وجلس تحت شجرة صفصاف، هاجمه جيش من الذكريات في هذه البقعة، فالكلية التي تدرس فيها ابنته، هي الكلية نفسها التي درس فيها من قبل، وتحت هذه الشجرة تحديدًا قابل فيصل لأول مرة؛ والذي أبهره حينها ذكاؤه ولباقته، وهي صفات لا توجد فيه، إلا لو اعتبر غانم أن ذكاءه صفة تستحق أن توضع في ميزان المقارنة، تكلما وقتها عن الشركات التي بدأت من الصفر، يصحبها عزم متوقد ورؤية مستقبلية جذابة، كانا على النقيض، فبينما غانم متحفظ يبدو باردًا من الخارج، يحسب كل كلمة ولا يثق في الآخرين، كان فيصل منطلقًا مرحًا غير هيّاب ولا يحسبها بدقة هكذا؛ بل يرتكب الحماقة ثم يتساءل بعدها إن كان قد أخطأ أم أصاب.

ذلك المزيج الفوضوي كان يرعبه، لكن جذبه إليه كسفينة فضاء تائهة، ووجدت مدار جاذبية قوي لأحد الكواكب المجهولة فتركت نفسها له يجذبها إليها بقوة، حتى لو كان الأمر يعني أن تتحطم السفينة على سطحه، ربما هذا هو السبب الذي جعله لا يتكلم عنه كثيرًا، يشير إليه من بعيد بـ: صديقي، وينتهي الأمر، لكن بمرور الوقت أدرك أنه سامّ، وأن الشرّ بداخله يتخذ صورًا عدة، وهذا ما أرعبه فيه.

ومع ذلك حين أسس شركته عرض عليه أن يكون شريكًا صامتًا خفيًّا، لا يُتحدث عنه، لكن هذا لا يمنع أن يوجهه من بعيد، وأن يتخذ من القرارات ما لا يجرؤ هو على أخذها، وكان آخر قرار اتخذه، حين قاد السيارة بسرعة بالغة وارتطم بأكمل.

***

ثم انتبه من خواطره وذكرياته حين رأى هذا الشاب؛ كان وسيمًا وضيء الوجه أبيض البشرة بشكل لافت، ولا يعرف كيف خطر بباله أنه هو نفسه أمجد هذا، لو

صدَّق حدسه فتسمية (الذئب الأبيض) التي سمته بها ابنته موفقة للغاية.

العجيب أن الشاب بدا له مألوفًا، وكأنما قد رآه من قبل! لكن أين؟

كاد ينادي عليه مغامرًا بألا يكون هو مَن يريده؛ لكنه تراجع عن هذا حين رأى سلمى تخرج من الكلية، والكآبة على وجهها وحين وقع بصرها عليه زادت هذه الكآبة أضعافًا مضاعفة، كما لو أنها رأت الشيطان ذاته؛ مما جعله يتأكد أنه هو فعلًا، أومأ برأسه إليها فتبعته بصمت وهي تطأطئ رأسها، انخلع قلبه لمرآها هكذا، الوغد.

غادر الحرم خلفهما، وحين خرج من الكلية فعلًا كان يقف عند سيارته الفاخرة وهو يقول بفخر:

- إنها سيارة كهربائية ذات مواصفات رائعة، ومصنوعة من مادة قوية جدًّا تحمي من بداخلها من أي صدمات أو حوادث... هل تعرفين أنها تعمل ببصمتي الخاصة، أي أنني أتركها مفتوحة دون أن

أغلقها حتى، لأن المقود لن يعمل إلا ببصمتي أيضًا... تحفة تكنولوچية منقطعة النظير... لقد دفعتُ فيها ثروة.

تمتمت سلمى:

- تقصد والدكَ هو مَن دفع.

قال بعينين مشتعلتين غضبًا:

- ماذا تقولين!

حاولت أن تبتسم وهي تقول:

- مبارك عليكَ.

حكَّ ذقنه، وقال:

- ستكونينَ أول مَن يركبها معي.

نظرت له بمقت، وقالت:

- لن يحدث.

أمسكها من ذراعها:

- هل تعصين أوامري؟

هنا لم يعد غانم يحتمل؛ ظهر وهو يهتف:

- سلمى.

شحب وجهها حين تعرفت على صوته قبل أن تراه، وقد بدا أنها ستفقد الوعي رعبًا، لكنه حاول -بقدر إمكانه- أن يبعثَ بعض الهدوء والطمأنينة في صوته وهو يقول:

- سلمى حبيبتي... هل انتهى اليوم الدراسي؟ لا تنسي أن عيد ميلادكِ اليوم.

أما أمجد فقد مط شفتيه ببرود وقال:

- مَن هذا؟

قالت سلمى بسرعة:

- إنه أبي.

ابتسم أمجد ابتسامة مقيتة وهو يقول:

- هاه! أبوكِ... أهلًا يا عمي، تشرفتُ برؤيتكَ.

لم يرد غانم؛ بل نظر إليه بنظرة تفيض احتقارًا، وهو يحاول التماسك بقدر المستطاع، وثمة رغبة ما

شيطانية تنمو بداخله بسرعة مذهلة.

مد غانم يده ونزع يد أمجد من ذراع سلمى وقال وهو يهمس في أذن الشاب، مع ابتسامة ترف على شفتيه:

- ارفع يدكَ عن ذراع ابنتي أيها الحقير وإلا كسرتها.

اتسعت عينا الشاب دهشة، ثم غضبًا وقال:

- هل تهددني؟ هل تعرف مَن تُحدِّث؟

كان صوت غانم يشبه الفحيح وهو يقول:

- مَن أُكلم؟ مجرد متحرش وضِيع يظن نفسه شيئًا.

اتسعت عينا أمجد وكأنما لا يصدق هذه الهرطقة التي يسمعها.

التفت إلى غانم وهتف:

- مصير ابنتكَ بين يديَّ، يمكنني أن أدمرها.

بالابتسامة ذاتها الملتصقة على شفتيه، وبدرجة الهمس نفسها قال غانم:

- حاول ذلك، وأنا سأقتلكَ دون رحمة، مثل أي كلب أجرب.

في هذه اللحظة كان غانم يُخرج ما في صدره من كراهية ناحية الشيطان البشري الذي يستغل ابنته، وتذكَّر كلام غرك سفيد عن الشيطان الذي ينتظر في طريق سلمى.

هل كانت مجرد جملة بلاغية لتوحي بالغموض، أم أنه كان يقصده فعليًّا بهذا؟

حين كان غارقًا في أفكاره هذه، لم ينتبه لأمجد وهو يمد يده ويخرج من جيبه الأيسر سكين، وقال صارخًا:

- ذق سكيني الجديدة إذن.

وهمَّ بغرسها حتى المقبض في قلبه.

لكمْ سيحتمل هذا القلب من طعنات!

هكذا تساءل غانم، وهو يرى السكين تتجه نحوه.

تحرك غانم بسرعة، وأمسك بمقبض السكين من ناحية أمجد نفسه، وحولَّها نحوه، وهنا انغرست السكين حتى

مقبضها في كتف أمجد، وما هي إلا دقائق حتى كانت الشرطة موجودة داخل الحرم الجامعي تقتاد غانم الغارق بالأفكار إلى المقعد الخلفي من مركبة الشرطة.

***

دخل غانم الزنزانة وجلس على الأرض وسط حشد من المجرمين كما يُفترض، وقال لنفسه وهو يهز رأسه: (إن هذا تطور جديد في الأحداث).

أسند رأسه للجدار وأغمض عينيه، الآن يتذوق شعور الفأر الذي يوجد في متاهة من الخشب المتعرج المتداخل المتقاطع، وعليه أن يجد طريقه فيه، والمعضلة -هنا- أنه يشعر أنه قد حوصر داخل متاهة أكبر وأشد تعقيدًا؛ متاهة زمنية.

شعر بأحدهم يقترب منه؛ ففتح عينيه، ولدهشته وجد أن حمدون هو أحد الموجودين في الزنزانة، ابتسم بشراسة وقال:

- يا لغرابة الصُدف!

...

تذكَّر غانم أنه أبلغ عنه الشرطة حين أفقده الوعي في المرآب؛ فأطلق ضحكة قصيرة ساخرة.

فعلًا يا لغرابة الصدف!

همس حمدون في أذن غانم:

- من ينجدكَ مني الآن؟

قال غانم بضجر:

- مَن يفعل لا يقول، ومَن يقول لا يفعل.

احمر وجه حمدون مدمدًما:

- ما معنى هذا؟

ألقى عليه غانم نظرة ساخرة، وأغمض عينيه مرة أخرى، بعد قليل فُتح البابُ وأُفرج عن غانم الذي فوجئ أن شيماء وابنته سلمى تجلسان مع رجل وقور بصحبة الضابط هاشم الذي يعرفه بالطبع، لكن هاشم لا يعرفه، قال هاشم مبتسمًا:

- راجعنا كاميرات مدخل الكلية وبدا أن أمجد هو مَن هاجمكَ أولًا؛ أي أنه المعتدي، وأنتَ دافعتَ عن نفسكَ،

هل تريد اتهامه؟

أسرع الرجل الوقور يقول:

- أنا أبوه يا أستاذ غانم، وإني لأعتذر عن سلوكه الشنيع.

قال غانم بابتسامة مريرة:

- لا جدوى من اتهامه، فسيكرر الخطأ نفسه مرة أخرى بحذافيره.

قال الرجل بحرارة:

- أقسم لك إن...

قاطعه غانم:

- لا تُقسم؛ فالأمر أكبر من قدراتكَ.

واتسعت ابتسامته المُرَّة وهو يتمتم بصوت منخفض:

- وقدراتي.

***

في سيارتها جلس، بينما سلمى في المقعد

الخلفي، ومن خلال النافذة أمكنه رؤية حمدون وهو يخرج، فبدت عليه الدهشة؛ فمَن أخرجه؟ هل يكون مُرسله في المقام الأول؟ وجده يقترب منه ويبتسم بشماتة وهو يحني رأسه، همس من بين أسنانه:

- الوغد.

سألته شيماء:

- ماذا تقول؟

هز رأسه قائلًا:

- لا شيء.

ثم التفت إليها بضيق متسائلًا:

- أين كنتِ؟ لقد اتصلت بكِ أكثر من مرة، وألغيتِ الاتصال.

قالت بنبرة أقرب للبرود منها للهدوء:

- كنتُ أتمم بعض الأشياء.

قال بضيق:

- يا لأشيائك التي تتميها طوال الوقت يا شيماء!

ابتسمت بسخرية:

- هل يقول هذا... مَن يملك الدفتر الأحمر! ماذا يوجد فيه بالمناسبة؟

انتفض:

- وما أدراكِ عنه؟

قالت بدهشة:

- هل نسيتَ أنكَ زوجي! أراكَ تحمله كثيرًا، تقرأ فيه بدون توقف، تدوِّن فيه أشياء عديدة لا أعرف عنها شيئًا... أليس من المفروض أن يثير هذا فضولي؟

قال بضيق:

- إنها أشياء متعلقة بالعمل.

ابتسمت وهي تهز رأسها:

- آه... أشياء متعلقة بالعمل... أسرار خطيرة تبدو.

دفع الباب ونزل من السيارة بحركة حادة دون أن

ينتبه للسيارة القادمة بسرعة من الطريق المقابل، وسط صراخ زوجته وابنته، و...

وانتهى كل شيء.

***

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

اليوم الثامن

كان يقود سيارته متجهًا للكلية مباشرة، بعد أن غادر نقطة الثبات العتيدة؛ مكتبه، تذكَّر السيارة التي سحقته تحت عجلاتها، ألمٌ بشعٌ خانق كأنه يتنفس من ثقب صغير للغاية، كان هناك ضيق مروري في أحد أهم شوارع العاصمة في هذه الساعة المبكرة من اليوم على غير العادة؛ مما جعله يتأخر كثيرًا، في نهاية المطاف وصل الكلية، وتوقف بسيارته وهناك رآه يستند إلى مقدمة سيارته، انتظر حتى غادرت ابنته الكلية، وهنا ظهر من الجهة المقابلة، صُعقت حين رأته وهي تهتف:

- أبي!

أشار أمجد إليه، وقال بما يشبه الاستنكار:

- هذا أبوكِ!

قال غانم ساخرًا:

- ألا أصلح لأن أكون كذلك؟

قال أمجد بتحدٍ:

- أخبرتني ابنتكَ أنها تفتقد حنان أبيها، وأنها وجدته فيَّ؛ فما رأيكَ في هذا؟

آلمه هذا، لكن هذا لم يمنعه من أن يقول:

- ابنتي مخطئة... أنتَ مجرد وضيع ليس إلا، ولن تمنحها إلا التعاسة والشقاء.

اشتعلت عينا الشاب غضبًا؛ فمدَّ يده لجيبه ليخرج سكينه الصغيرة، لكن يد غانم كانت أسرع، وهو ينتزعها منه بقوة؛ مما جعل أمجد يدفع غانم بعيدًا، لكن هذا الأخير تمالك نفسه وعدل جسمه بشكل يحقق له التوازن، هذا لم يحدث لسلمى للأسف، والتي ارتطم بها أبوها، فسقطت في منتصف الطريق حيث كانت سيارة نصف عملاقة قادمة، وحاول غانم إنقاذها، لكنها دهستهما معًا.

***

اليوم التاسع

قال لنفسه وهو يغادر مكتبه: (إنها المرة الأولى التي يواجه فيها الموت على يد سائق سيارة أكثر من مرة وبشكل متتالٍ)، الموت قد لا تكون وسائله متجددة، لكن الألم شنيع في الموتات كلها.

كان غيظه أكبر من ألمه، وقال لنفسه -بسخرية لا تخلو من مرارة- إنه بهذه الطريقة سيجرب طرق القتل كلها، وهو امتياز لا يظن أن بشريًّا قد أخذه من قبل، ضحك حين تذكر هذا، وهذا أدهشه، فهذه الضحكة المنطلقة لا تغادر جوفه؛ بل تظل حبيسة تتردد في دهاليز نفسه دون أن يسمح لها بالانطلاق في العادة.

توقف بسيارته أمام الكلية وانتظر، وظهرت سلمى من بعيد، وأمها توصلها بسيارتها، فانزوى بعيدًا حتى تأكد من انصراف أمها، ثم ظهر وهو يعترض طريق ابنته، رجل الأمن لاحظ هذا فقال متوعدًا:

- ماذا تفعل يا أستاذ؟

قالت سلمى بدهشة:

- أبي! ماذا تفعل هنا؟

نظر غانم لرجل الأمن، وقال وهو يغمز:

- كما ترى... إنها ابنتي.

لوح رجل الأمن بيديه، بينما مدّ غانم ذراعه وشبَّكها في ذراعها، وقال:

- أدعو ابنتي الحبيبة لنتناول الإفطار معًا... أعلم أنكِ لا تتناولين الإفطار في العادة، ولكن هذا المطعم الجديد يقدم أطباقًا أكثر من رائعة... ستنبهرين.

قالت معترضة:

- وجدولي الدراسي المزدحم؟

قال وهو يقودها بعيدًا متجهًا لسيارته:

- المحاضرة الأولى في النظم الإدارية وأنتِ بارعة فيها، ما فيها كله تحصيل حاصل، ثم إنها ستستمر لساعتين، يمكنكِ أن تقضيهما بدلًا من هذا مع أبيكِ المحب.

اندهشت من تصرفه هذا، فهذه هي المرة الأولى

التي يأتي فيها لكليتها، نعم كان يوصلها لمدرستها حين كانت طفلة صغيرة بضفيرتين؛ لكنه توقف عن ذلك حين صارت في العاشرة، وانشغل في أعماله، وترك هذا الأمر لأمها، فما الذي يحدث بالضبط؟ ثم تذكرت شيئًا.

- لحظة... كيف عرفت جدولي الدراسي ومواعيده؟

ولم تأخذ منه سوى ابتسامة غامضة فحسب.

***

كان الطعام لذيذًا والحق يقال، وقالت لنفسها إنها ستأتي لهذا المطعم مرة أخرى، بمفردها طبعًا؛ فهي لن تحتمل النظرات الغريبة التي يرمقها بها أبوها، هل جُنَّ مؤخرًا؟

لن تستغرب هذا؛ فكثيرًا ما قالت أمها لها ولأخيها إنهما قد يريان بعض التصرفات الغريبة من أبيهما، فليتجاهلانها، وليُرجعاها إلى عمله وانشغال فكره، وضيق وقته.

- الطعام شهي... أليس كذلك؟

قالها غانم وهو يغمز بعينه؛ فأومأت برأسها وابتسامة فاترة ترتسم على شفتيها، وطلب عصيرًا طازجًا لها وله، وراح يتغزَّل في مذاقه الطيب، وكمْ يفتقد هذه المتع الصغيرة التي تعطي للحياة الصاخبة السريعة معنى! وهنا لم تحتمل؛ فقالت بعصبية وهي تنقر على الطاولة بأصابعها:

- أبي... ما الذي نفعله هنا بالضبط؟

لم تتلاشَ ابتسامته بالكلية، لكن خفت كثيرًا عن ذي قبل، وهو يقول:

- مَن أمجد هذا؟

امتقع وجهها وهي تقول:

- أمجد! آه.. أ... أمجد؟ مَنْ.... مَنْ أمجد هذا؟

قال بضيق:

- أنتِ فاشلة في الكذب يا بُنيتي... أي طفل سيرى وجهكِ الآن سيقول إنكِ تكذبين.

قالت وهي تلوّح بيدها:

- وهل مخي كمبيوتر يا أبي! ذكرني به.

قال بنبرة مَن يعرف الكثير:

- أحسبُ أن مخك كله لا يركز على شيء بقدر ما يركز على هذا الوضيع.

شحب وجهها، فقال منفجرًا:

- كيف لفتى تافه كهذا أن يلفت انتباهكِ يا سلمى! ألم تضعي احتمالًا -ولو واحد في المئة- أنه يستغلكِ؟

قالت بعصبية، وقد وجدت أنه لا جدوى من الإنكار:

- تسلل إليَّ في لحظة ضعف، وللأسف كانت لحظة ضعفي ثغرة انسلَّ منها كالثعبان.

قال بصرامة:

- اصدقيني القول... إلى أيٍّ مدى وصلت علاقتكما؟

قالت بعصبية:

- اطمئن يا أبي، لم يلمس مني شعرة واحدة، وما كنت لأسمح له، إن جوعي كان عاطفيًّا بحتًا، والوغد لا تنقصه العاطفة حتى لو كنت زائفة.

قال مستنكرًا:

- ولم تشعري بزيفها؟

قالت ساخرة:

- هناك مثل يقول: «الجائع يحلم بسوق الخبز»... حتى لو خطر لي أن مشاعره زائفة فكنتُ في أشدِّ الاحتياج إليها، فهل كنتُ سأرفضها!

أسقط ما في يديه، وقال:

- لهذه الدرجة!

قالت بمقت:

- لكني لم أحسب أن وضاعة البشر يمكن أن تصل لهذه الدرجة يا أبي.

ثم استطردت بعصبية:

- لكن أخبرني... كيف علمتَ؟

لوح بيده:

- ليس المهم كيف عرفت، لكن المهم كيف أُخرجكِ

من هذه الورطة.

قالت بتهكم تشوبه المرارة:

- هذه ورطة لا خروج منها يا أبي... إنه يحتفظ ببعض...

لوح بيده، وقال بعصبية:

- أعلم... ولن يهدأ لي بال حتى أخرجكِ مما أنتِ فيه.

نظرت إليه بدهشة، وكأنها تراه لأول مرة، وتمتمت:

- أنتَ مختلف يا أبي!

قال بضيق:

- هل كلام كهذا يجعلكِ تقولين إني مختلف!

قالت ملوحة بيدها:

- ليس بسبب حديثكَ هذا فحسب، ولكنكَ مختلف فعلًا... شيء ما فيكَ قد تغيّر.

تمتم:

- أرجو أن يكون للأفضل.

بدا أنها لم تسمعه، ولمحة من الرعب ظهرت على وجهها، فنظر حيث تنظر، وإذا بالوغد أمجد جالس على طاولة، وأمامه أطايب الطعام يتناولها بتراخٍ كسول.

ابتسم حين نظرت إليه، ثم مطَّ جسمه ونهض -وخَطَرَ في بال غانم أنه يفعل كما تفعل الذئاب بالضبط حين تهب من أماكنها، يستحق التسمية إذن عن جدارة- وتوجه إليهما، جلس بدون دعوة، وودَّ غانم لو أغمد سكين الطعام في حلقه، لكنه التزم سياسة ضبط النفس، وهو يسمعه يقول:

- لم تخبريني عن الأستاذ يا سلمى.

قالت بخشونة:

- إنه أبي؛ فتأدب.

اعتدل قليلًا فيما بدا أنه احترام، ثم استرخي في مقعده، وقال:

- أبوكِ فعلًا، أم...

كانت جملته مهينة وتحمل معنى حقيرًا التقطه غانم

على الفور؛ فقال وهو يميل نحو أمجد:

- فكرتُ في أن أدفع بسكين الطعام هذه في حلقكِ منذ لحظات، لكني عدلت عن هذا... الآن أفكر جديًّا أن أجتز حنجرتكَ بسكينكَ الجديدة الموجودة في جيبكَ الأيسر الآن... فما رأيكَ؟

قال أمجد وهو يعقد حاجبيه على الرغم منه:

- كيف لكَ أن...

ثم توقف عن طرح السؤال، وصمت وهو ينظر إلى غانم بنظرة متحدية، قابلها هذا الأخير بابتسامة باردة؛ فنهض أمجد وقال:

- سأراكِ في حفل عيد ميلادكِ يا سلمى إذن.

وتعمد أن يرفع صوته، ليسمعه الجميع، ضمّ غانم قبضته بقوة، وهو يسيطر على أعصابه بالكاد، ثم ارتفع حاجباه هو بدوره، حين تذكَّر أين رأى هذا الوغد؛ لقد كان في حفل عيد ميلاد ابنته.

***

أتى موعد الحفل؛ فتألق في ثيابه، وبدا أنه يعرف جيدًا ما سيفعله؛ ترك نفسه لغرك سيفيد يقرأ طالعه، واكتفى بابتسامة هادئة، حتى وصل للشيطان الذي يختبئ في العتمة، فضغط على يد ابنته مُطَمئنًا، بينما شحب وجهها وهي تنظر إلى أمجد الذي ابتسم بمكر، وتركه يقرأ طالعه هو شخصيًّا، ثم دخل حجرة المخزن، ووضع الحزمة المتفجرة في حقيبة ورقية بسيطة، وخرج فإذا شيماء تقول:

- ماذا يوجد في هذه الحقيبة؟

غمز غانم:

- هدية سلمى الخاصة... ستُسعدها حقًّا.

وغادر الڤيلا كلها، وتوجه إلى سيارة أمجد، وتذكر قوله سابقًا لابنته:

«إنها سيارة كهربائية ذات مواصفات رائعة، ومصنوعة من مادة قوية جدًّا تحمي مَن بداخلها من أية صدمات أو حوادث».

والعجيب أنه ترك الباب مفتوحًا بالفعل؛ لذا فقد

انسلَّ غانم للداخل، ووضع الحزمة المتفجرة تحت المقعد، ثم حرص أن يغلق بابها برفق، ثم عاد للداخل، وحين دقت الساعة معلنة السابعة مساءً انفجرت سيارة أمجد، وتحولت إلى ألف قطعة، وهي تطير في الهواء، وتصنع صخبًا مريعًا، أما المشهد الذي جعل غانم ينفجر ضاحكًا، بينما لم تتمالك سلمى نفسها من الابتسام؛ فهو منظر أمجد وهو يبكي.

وحين نظر بشكل عارض لغانم وابنته، فَهِمَ ما حدث لسيارته، فجزَّ على أسنانه بغيظ، وقد قرر شيئًا في أعماقه.

***

كانت ليلة ممتعة بخلاف الليالي السابقة، وقد سهرت فيها سلمى للصباح بصحبة عائلتها، وقد ذاب الكثير من الجليد بينها وبين أبيها، ومن فرط سعادته وهذا الهدوء الذي يكتنفه، قال غانم لنفسه (إن اللعنة قد انتهت)، في أعماقه شكر ذلك الغامض الذي حبسه في هذه الحلقة الزمنية المتكررة؛ فقد حققت

له بعض التقارب المفقود والمفتقَد مع عائلته.

ذهب للشركة وهو في كامل أناقته وحيويته، برغم أنه لم ينم إلا ساعتين فحسب، ونزل من سيارته ثم توجه للداخل، لكنه توقف بغتة عند مكتب الأمن، وسأل المسؤول عنه:

- ما شكل الشاب الذي قابل الآنسة نادية أمس؟

قال رجل الأمن بدهشة:

- أمس! لا أتذكر أنها قابلت أحدًا عند مدخل الشركة.

توقف غانم مبهوتًا، كرر سؤاله:

- هل أنتَ متأكد؟

هزَّ مسئول الأمن كتفيه:

- يمكنني مراجعة كاميرات المراقبة أمس في الوقت الذي تدخل فيه الآنسة نادية للشركة، والتأكد من هذا بسهولة.

وقرن القول بالفعل، وهو يراجع اللقطات، ثم أدار شاشة الكمبيوتر نحو غانم وقال:

- أترى يا سيدي... لا أحد قابلها.

قال غانم وهو يحكّ ذقنه بتوتر:

- إذن... فقد كذبت عليَّ.

تساءل رجل الأمن بدهشة:

- ماذا!

ابتسم غانم، وقال:

- لا تشغل بالكَ.

حيَّاه وانصرف متجهًا للداخل، قال رجل الأمن لنفسه: (ما الذي دهاه؟ إنها المرة الأولى التي يحييني فيها!).

وفجأة سمع غانم صراخًا، التفت لمصدره، ولدهشته البالغة، وجد أن أمجد يقود سيارته بشكل متهور للساحة الخارجية للشركة ويكسر بابها الخشبي، ثم يفرمل بقوة ليوجه مقدمة السيارة نحو غانم نفسه، الذي انتابه ذعر؛ فحاول التحرك بعيدًا، لكن السيارة دفعها نحوه سرعتها وقوتها، وكان آخر خاطر يثب

لذهنه؛ موت بدهس سيارة له للمرة الثالثة.

يا للعجب!

***

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

اليوم العاشر

عدت مجددًا، يا للخيبة!

دخلت نادية المكتب فوجدته يرمق الباب بتركيز، وكأنه ينتظرها، مدت يدها إليه وقالت:

- ثَمَّ مظروف قد وصل إليكَ يا سيدي.

قال دون أن يمد يده:

- اجلسي يا آنسة نادية.

بدت الدهشة عليها، ثم التوجس، لكنها امتثلت وجلست.

سألها:

- ممن هذا المظروف؟

قالت بارتباك:

- لقد أتى للشركة بالطريقة التقليدية، عبر خدمة البريد.

قال بهدوء:

- لكني تأكدتُ مِن أنه لم يُرسل عبر خدمة البريد.

ابتسمت بحيرة وقالت:

- كيف يا سيدي قد تأكدتَ من هذا، وأنا أسلمكَ المظروف بيدي الآن؟

أمسك بالهاتف، وقال:

- ولمَ الحيرة؟ سأتصل الآن بخدمة البريد وأتأكد من ذلك.

امتقع وجهها وهي ترفع يدها:

- لا تفعل.

قال بهدوء بارد:

- ولمَ لا؟

أحنت رأسها:

- المظروف ليس من خدمة البريد.

ترك الهاتف، وشبك يديه أمام صدره وقال:

- ممن إذن؟

أجابته:

- ااا... إنه من رجل استوقفني صباح اليوم أمام مدخل الشركة وأعطاني إياه لأسلمه لكَ يدًا بيد، مقابل 500 دينار.

صفَّر غانم موضحًا انبهاره الزائف:

- مبلغ ضخم لمهمة بسيطة كهذه.

قالت نادية:

- وأنتَ تعلم أن أمي مريضة، وهي في الاحتياج إلى كلِّ دينار أكتسبه.

أومأ برأسه كأنه يتفهم فعلتها، ثم أمسك بالهاتف فقالت بقلق:

- ماذا؟

هز كتفيه قائلًا:

- سأتصل بمسئول الأمن حتى يفرّغ الكاميرات لرؤية هذا الشاب الذي تدّعين رؤيته.

وضغط على (تدّعيّن) بطريقة مَن يرسل

رسالة بعينها.

وقد وصلتها كاملة؛ فقد قالت بيأس:

- ماذا تريد يا سيدي؟

لوح بيده:

- بل أنتِ ماذا تريدين مني يا نادية، حتى تبعثي لي برسالة كهذه؟

قالت بدهشة:

- أنتَ لم تفتح المظروف بعد.

قال مبتسمًا:

- لستُ في حاجةٍ لهذا؛ لقد كتبتِ:

(قريبًا ستدفع الثمن... أيها القاتل).

شحب وجهها، بينما قال مبتسمًا:

- مَن قتلتُ لكِ؟

رفعت رأسها بشموخ، ولمعت نظرة مقت في عينيها، وهي تقول:

- أخي أكمل.

***

سادت لحظة من الصمت، ثم قال غانم:

- أنتِ أخته الصغرى إذن.

أومأت برأسها وهي تقول بمرارة:

- جيد أن تعرف شقيقة قتيلكَ.

هز رأسه:

- أنا لم أقتل أكمل يا نادية.

قالت بمرارة ودموعها تسيل:

- بل فعلتَ، وقد أخبرني أكمل بنفسه.

عقد حاجبيه قائلًا:

- كيف؟

قالت:

- حين دهسته بالسيارة... اتصل بي حينذاك، وأخبرني بالوضع، وأخبرني أنكَ قتلته، ثم في اليوم التالي

اختفي شقيقي تمامًا.

هز غانم رأسه بعنادٍ، وقال:

- لم أفعل ذلك... كنت شاهدًا على الأمر فحسب، لكني لم أقتله... لا بد أن الضربة القوية لمقدمة السيارة أثرت على عقل أخيكِ، فظن أنني من دهسته، ولم يرَ وجه مَن حاول دهسه بالسيارة وقتله.

ضحكت بمرارة:

- تقول حاول دهسه وقتله! يا لكلماتك الدقيقة!

قال بهدوء:

- أنا دقيق بالفعل في كلماتي... هذا لأن شقيقك -ما زال- على قيد الحياة.

***

بعد لحظة صمت، قالت بصوت مبحوح:

- ماذا تقول! أخي حي؟

ابتسم:

- وفي أتم الصحة والعافية.

وهز كتفيه:

- على الأقل حتى آخر مرة سمعتِ عنه خبرًا.

تساءلت بعصبية:

- ما معنى هذا الكلام الغامض؟

جلس وشبك يديه مجددًا، ثم قال:

- صديق لي دموي وأحمق في الوقت نفسه قام في لحظة غضب بدهسه، ودفنه حيًّا فيما يبدو، ما فعلتُه أني قمت باستنقاذه من القبر وذهبت به لطبيب صديق واعتنى به.

قالت برعب:

- يا للهول! دُفنَ حيًّا؟ أي وحش هذا!

هز رأسه بأسى كأنه يوافقها، قالت بشراسة:

- ومع ذلك فذلك الوحش لم تبلغ عنه الشرطة بعد.

تنهد قائلًا:

- الأمر أعقد مما تتخيلين.

قالت في نبرة هجومية:

- بل هو بسيط لحد الإخلال لو صحّ كلامك هذا... لو بلّغت عن صديقك الوغد هذا، فستكون شريكه في الجريمة، بما أنك شاهدتها بأمِّ عينيك.

قال معترضًا:

- لكني أنقذته.

- هكذا تريد إقناع نفسك، لكنكَ مثله، وربما أسوأ.

بدا عليه الضيق الشديد، وكأنه لم يتوقع أن تكون ردة فعلها هكذا، فقد كان يتوقع منها بعض الامتنان والشكر والانبهار أيضًا، إنه سر احتفظ بينه وبين نفسه ولم يطلع أحدًا عليه، باستثناء الطبيب وأكمل نفسه.

***

في الحفل -الذي أُقيم في السادسة، وسينتهي في السابعة بانفجار كالعادة- بدا غانم شاردًا، حتى إن فيصل قال ساخرًا:

- ماذا دهاك؟ هذا حفل عيد ميلاد ابنتكَ يا رجل!

سأله غانم بغتة:

- هل أنا شرير؟

بدت الدهشة على وجه فيصل وهو يقول:

- أيُّ سؤال هذا؟

دمدم غانم بعصبية:

- أخبرني... هل أنا شرير؟ ولا تكون أفعوانيًّا كعادتكَ كن صريحًا ودقيقًا.

قال فيصل بسرعة:

- لو أخبرتني ما الشرّ؛ فسأخبرك إن كنتَ كذلك أم لا.

هتف غانم:

- ستدخلني في متاحة فلسفية حلزونية كعادتكَ... حسنًا، الشرّ هو فعل الشرّ... هو طلب الإيذاء للغير، سواء على سبيل المصلحة أو المتعة.

هز فيصل رأسه:

- من خلال هذه الإجابة على سؤالي، يمكنني الإجابة أيضًا على سؤالك هذا: أنتَ لستَ كذلك.

قال غانم بشرود:

- لماذا اتهمتني نادية إذن بأني شريكك في قتل شقيقها أكمل، برغم أني أخبرتها أني أنقذته من قبره؟ ألا يستدعي هذا بعض الشكر و...

وتوقف غانم عن الحديث، وخفق قلبه بقوة، وهو يرى لمحة من الشرّ الخالص تتجسم في عينيّ شريكه السابق، وأدرك في هذه اللحظة أي فخ انزلق فيه بدون تفكير، فخ صنعته له نادية بدون قصد، وها هو ذا يتسبب له في خطأ مهني قد يكلفه حياته؛ ففي النهاية هو شريك أحد القتلة في جُرمه.

***

من النافذة رأى غانم شريكه السابق وصديقه الحالي ينتظر في الحديقة وهو ينفخ من فمه نارًا، كان قد أمره بأن يتبعه بعد خمس دقائق بالضبط، وقف مرتجفًا، فأحيانًا يرتعد لمجرد مرور صورة فيصل بذهنه،

هزَّ رأسه وكأنه يريد نفض تلك الصورة المفزعة عن عقله، حين وقع بصره على هيثم ابنه وهو يتناول شيئًا بصحبة صديق جديد يُدعى ماهر، وشعر غانم برعب حقيقي، فقد بدا واضحًا له -بخبرة المحترفين- من المسحوق الأبيض الذي يشمه ابنه أية هوة انزلق إليها هو الآخر، وفي هذه اللحظة بلغت الساعة السابعة بالضبط، وصارت الڤيلا حُطامًا.

اليوم الحادي عشر

فور أن عاد غانم للمكتب غادره فورًا، ركب سيارته وتوجه للڤيلا، وكاد يهم بالدخول، لولا أنه رأى ابنه يركب سيارته الصغيرة وينطلق بها، تبعه حتى وصل لنادي رياضي وصحي في أطراف منطقة قريبة، خرج هيثم من السيارة وهو يرتدي زيه الرياضي، وعلى باب النادي وقف ماهر؛ صديقه الذي رآه أمس.

أمس؟

تمتم غانم بمرارة:

- هل هو حقًّا أمس؟

نزل من السيارة، وتحيّر كيف يدخل هذا المكان، ثم هداه تفكيره لأبسط السُّبل، وهو الدخول كعميل،

دفع الاشتراك وحرص أن يكون بعيدًا عن أنظار ابنه حتى يعرف جَلية الأمر، وتبقى -الآن- أن يعرف ما الذي تفعله شيماء من وراء ظهره هي الأخرى.

***

2575565132

اليوم الثاني عشر

في الحادية عشرة صباحًا كان يقف بالسيارة أمام الڤيلا، بعد قليل خرجت زوجته شيماء وهي ترتدي نظارة شمسية؛ فتبعها حتى دخلت أحد المطاعم، اختار طاولة بالقرب منها، بحيث يسمعها جيدًا، وبحيث لا تراه، وكان ثَمَّ رجل طويل نحيل كقلم رصاص، كانت تقول له بعصبية:

- ما أفعله من أجل ابنتي وابني يا أستاذ أحمد؟

قال بهدوء:

- كمحاميكِ، أطلبُ منكِ أن تتأني قليلًا يا سيدتي... هل تعرفينَ ما تطلبينه! إنكِ تبغين القضاء على حياتكِ الزوجية بسبب فرضية قد لا تُثبت صحتها أبدًا.

قالت بعصبية متزايدة:

- أنا متأكدة من نظريتي يا أستاذ أحمد، والدفتر الأحمر حين أمسكه في قبضة يدي سيكون دليلًا لا يُدحض ذلك.

رمقها بنظرة ثاقبة:

- تقولينَ إنكِ شاهدتِ بعض صفحاته في لحظة خاطفة من الزمن.

تنهدت وأخذت نفسًا عميقًا، وقالت:

- وكان ما رأيته بشعًا.

ثم أردفت:

- هذا الدفتر سيتيح لي أن آخذ شركة زوجي بالكامل، وأكون المسئولة عنها، وخاصة أن غانم مقطوع من شجرة ليس له أقارب أبدًا.

انقبض قلب غانم، وهو يسمع هذا الكلام؛ إذن فهذا هو مقصدها؛ أخْذ ثمرة عمره، ارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة، لمح أحمد ينهض، ويرحل مودِّعًا زوجته، وتوقع أن تنهض هي الأخرى، حتى تعطيه الفرصة للمغادرة أيضًا، لكن فجأة جلس شخص آخر، وقال بصوت مألوف:

- بما تأمرينَ يا سيدتي؟

قالت بصرامة:

- أريد الدفتر الأحمر بأيِّ شكل، حتى لو وصل الأمر لتخدير زوجي، وأخذه منه عنوة.

وصُعِقَ غانم، فقد كان صاحب الصوت المألوف هو حمدون.

اليوم التاسع والثمانون

كان الحفل يدور حوله، وهو يجلس شاردًا، قال لنفسه: (لو لم يعش في هذا اليوم المتكرر للأبد فيما يبدو؛ لطالت لحيته، ونمت أظفاره، وغارت عيناه للداخل)، أيام كثيرة مرت؛ حتى إنه كفَّ عن العدِّ، وهو يحاول منع انفجار الحزمة المتفجرة دون جدوى، ينقلها من مكان لمكان؛ تنفجر، يُعطلها؛ تنفجر، وكأن هناك شخص بعينه يحرص على أن تنفجر في الموعد ذاته، في الأحوال كلها الموت ينتظره هو بمفرده، أو ينتظر الجميع.

مرت بذهنه -مجرد مرور فحسب- فكرة الانتحار كمخرَج -مع خوفه من الانتحار عقائديًّا والعذاب المنُتظَر- لكنه كان يعلم أنه يموت حرفيًّا فما الجديد هنا!

أتى فيصل بجواره وتحدث بسخرية كعادته، لكن غانم تجاهله بضجر، نهض من مقعده ونظر حوله؛ سلمى تتبادل نظرات مع أمجد كلها اشمئزاز، هيثم يتناول المسحوق الأبيض بإخلاص منقطع النظير، شيماء تُرحِّب

بضيوفها، وهو يعلم أنها تطعنه في ظهره، فما الجميل في حياةٍ كهذه!

نهض بتثاقل وكأنه كبر مئة عام، واقترب من حجرة المخزن، وهنا لمح شخصًا مألوفًا، وهو يتأكد من وضع القنبلة في مكانها، وكان قد حركها خارج الڤيلا منذ قليل، وكان آخر مَن يتوقعه، وخاصة أنه قرأ طالعه منذ قليل؛ كان غرك سفيد.

***

كان غرك سفيد هو عدوه الخفي إذن؛ الرجل الذي كان يحرك القنبلة بشكل ما في اليوم المصيدة، المتكرر فيما يبدو إلى أجل غير مسمى، وكان يستخدم استبصاره في تغييرها بحيث تنفجر في الموعد ذاته،

كان هو العدو المختبئ خلف العتمة؛ الشرّ الذي يرتدي عمامة زاهية.

لكن لماذا؟

غرق في أفكاره، حتى نسى أن الساعة تتجه حثيثًا نحو السابعة؛ حيث حدث المحتوم.

***

اليوم التسعون

اتصل بمتعهد الحفلات وطلب منه عنوان غرك سفيد الشخصي؛ فأعطاه له، لم يضع وقتًا؛ غادر المكتب، وقاد سيارته حتى وصل لمنزله، كان بيته عبارة عن طابق واحد بسيط، أمامه شجرة وارفة تظلل بفروعها على سقفه؛ منزل يُناسب شخصًا زاهدًا مستبصرًا فيما يبدو، دقّ الباب فلم يُجب أحد، انتظر قليلًا، ثم بدا أن المنزل خالٍ، فاستدار على عقبيه، لكن الباب فُتح في نهاية المطاف.

بدت الدهشة على وجه غرك سفيد؛ دفعه غانم للداخل وأغلق الباب خلفه ونظرة صارمة متأججة بالغضب على وجهه، وانقض عليه ممسكًا إياه من رقبته وقال:

- أنتَ صاحب القنبلة إذن.

قال غرك سفيد بذعر:

- ماذا تقول يا أستاذ غانم!

دمدم غانم بمقت:

- لقد سمعتني، فلا داعي لمزيد من الخداع.

ثم قال بدهشة:

- لحظة... لقد عرفتني بسهولة، برغم أنني في يوم جديد، والمفترض أنكَ ستذهب إلى الحفل اليوم!

تمتم الرجل بأسى:

- أنا مستبصر... هل نسيت! إنها لعنتي... كلٌّ يُحبس في يومه بطريقة خاصة يا أستاذ غانم.

همَّ غانم بقول شيء ما، لكن غرك سفيد أسرع يقول:

- لم يكن من المفروض أن يحدث هذا... إنه خطأ... مجرد خطأ.

عقد غانم حاجبيه وتمتم:

- مجرد خطأ!

قال غرك سفيد ملوحًا بيده بذعر:

- لستُ خبيرًا بالقنابل، وفجأة تواصل معي أحدهم، وطلب مقابلتي.

هدأ غانم قليلًا، وقد بدا أن غرك سفيد يقول الصدق فيما يتفوه به، واختار مقعدًا بالقرب منه وجلس عليه، بينما صاحب المنزل يواصل:

- كان ذلك في أحد المقاهي... شاب اسمه مظلوم.

- أيُّ اسم هذا!

هز غرك سفيد كتفيه، وقال:

- هكذا سمَّى نفسه... لكني لا أظن أنه اسمه الحقيقي... أخبرني أنه عَلِم أني سأكون صاحب الفقرة الترفيهية في منزلك؛ لذا طلب مني طلبًا؛ وهو وضع تلك القنبلة في مكان بعينه.

بدا الاهتمام على وجه غانم وغرك سفيد يواصل:

- أصبتُ بالذعر طبعًا؛ لكنه طمأنني أنها مجرد قنبلة منزلية الصنع، وأنها ليست مؤذية، بل سيكون انفجارها محدودًا، وأن ذلك كله من أجل إيصال رسالة لصاحب

المنزل؛ حتى يعرف أيّ ظلم ارتكبه في حقِّه.

هبَّ غانم من مقعده، وهو يقول بغيظٍ مستعرٍ:

- أنا ظلمتُ صاحبكَ! كيف وأنا لا أعرفه أصلًا!

لوَّح غرك سفيد مهدئًا:

- رويدك يا سيدي... إنما أحكي لكَ ما حدث فحسب، وناقل الكفر ليس بكافر.

قال غانم ساخرًا:

- وناقل القنبلة ليس بقاتل! أليس هذا ما تريد قوله؟

هز غرك سفيد رأسه، وقال بوجه شاحب:

- كما أخبرتكَ أنه ليس من المفروض أن يحدث هذا كله... إن الانفجار المحدود في حجرة المخزن لن يفعلَ هذا الانفجار بطبيعة الحال.

صرخ غانم:

- لكنه فعل، وقتل الجميع.

ارتبك غرك سفيد:

- عندي استعداد لأن أشهد عند الشرطة بما قلته كله، وأنا مستعد لأن أعاقب، لكنك تعلم أنَّ هذا كله غير مجدٍ، فأنت محبوس في يومك، وأنا محبوس في يومي... ولعله من المثير أن يتقاطع مصيرا رجلين يعيشان يومًا بعينه، لكن من زاويتين مختلفتين.

وتنهد وهو يكمل:

- ما فعلته كله هو وضع القنبلة في ذلك المكان فحسب، ثم أداء فقرتي، وبعد ذلك الانصراف.

وبدا على وجهه الأسف وهو يتنهد:

- وفور دخولي لمنزلي اتصل بي متعهد الحفلة وأخبرني بالخبر، فأصابني ذعر جارف جعلني أطفئ أنوار المنزل، وأبقى في العتمة غير مصدّق ما فعلته... القتل شيء بشع، وملعون مَن أزهق الأرواح بغير حق.

رمقه غانم بصمت، واضح أنه صادق فيما قال، وواضح أن مظلوم هذا -ومن المؤكد أنه اسم مستعار- قد خدعه وأقنعه بشيء غير حقيقي، فمن المؤكد أنه علم

بأن الانفجار سيكون رهيبًا مضاعفًا، وأن...

توقف غانم عن استرسال الأفكار عند نقطة بعينها، وتذكَّر قول هاشم من قبل عن دهشته من أن حزمة تفجيرية كهذه تتسبب في انفجار عظيم كهذا، هل هناك عامل آخر يُضاف للانفجار فيضاعف قوته هكذا بذلك الشكل المروّع؟

تمتم غانم بغضب:

- يا لك من أحمق يا غرك سفيد أنتَ ومَن أرسلكَ.

ارتبك غرك سفيد، وقال:

- ما الأمر يا سيدي؟

أمسكه غانم من ثيابه وصرخ فيه:

- أحمقان إذ لم تدركا أن حجرة المخزن بها أيضًا أسطوانات الغاز وقريبة من المطبخ أيضًا الذي يحتوي هو الآخر على أسطوانات أخرى.

هبَّ غرك سفيد من مقعده:

- يا للهول!

كان وجهه شاحبًا أكثر من ذي قبل، وفي هذه اللحظة ارتفع في المكان إشعار بوصول رسالة؛ هرع غرك سفيد لهاتفه، وقال:

- إنه مظلوم هذا، يطلب مقابلتي في المكان الذي تقابلنا فيه.

قال غانم بسرعة:

- أخبره بالموافقة.

قال غرك سفيد معترضًا:

- لا أريد أن أنظر في وجه هذا السفاح مرة أخرى؛ بل سأبلغ الشرطة عنه و...

قاطعه غانم بنبرة صارمة تُجمِّد الدم في العروق:

- بل ستبلغه بأنك قادم، ودع الباقي لي.

***

ساد الصمت، وعاد غرك سفيد للجلوس، وأومأ برأسه موافقًا؛ قال غانم بعد برهة:

- إذن فكل شيء مزيف، وهذا الهراء كله بخصوص

الأسرار التي تقبع في عقلي...

قاطعه غرك سفيد بتوتر:

- هذا حق... بالفعل هو كذلك، أو كما قلتَ بالضبط؛ يوجد سرّ تحتفظ به في عقلكَ... الحق أنهم ثلاثة أسرار ترتبط ببعضها البعض، سر تعرف أنه سر، وسر أُنسيتَ أنه سر، وسر يعرفكَ وأنتَ لا تعرفه.

تمتم غانم بضيق:

- هل ستعود لهذا الكلام الفارغ مجددًا؟

قال غرك سفيد باستسلام:

- موهبتي في الاستبصار حقيقية يا أستاذ غانم.

قال غانم ساخرًا:

- مثل اسمك الغريب المضحك هذا؟

قال غرك سفيد معترضًا وكأنما أُهين:

- هذا اسمي الحقيقي، ويمكنني أن أريكَ بطاقة هُويتي الشخصية لو أحببتَ.

ومد يده لجيبه؛ لكن غانم قال معنفًا:

- لا أهتم بهُويتك ولا معرفة إن كان هذا اسمك الحقيقي أم لا، فهذا كله لا يهم... الذي يهم هل تعرف حقًّا شيئًا من الأسرار التي تزعم أنها قابعة في عقلي؟

قال غرك سفيد بحذر:

- يمكنني أن أخبرك بأحد الثلاثة، أمَّا البقية؛ فأظن أنها ستتكشف قريبًا.

ابتسم غانم كأنما يشاهد لعبة، وقال:

- أبهرني إذن.

ساد صمت، ثم قال غرك سفيد:

- حين وضعتُ يدي على كتفكَ رأيت مشاهد متفرقة؛ شاب يطير في الهواء حين ضربته سيارة قوية، جسمه وهو يُجرّ بيدين قويتين، قبر يُفتح ويوضع فيه هذا الشاب، ثم تُهال عليه الرمال.

ابتلع غانم ريقه؛ إنه يعرف سره بالفعل، يا للعجب!

من حسن الحظ أنه يعرف جزءًا منه فقط.

أكمل غرك سفيد بعد هنيهة:

- ما رأيك فيما سمعته؟ هل تعرف عمَّا أتحدث بالضبط؟

قال غانم ببرود:

- البتة.

رمقه غرك سفيد بنظرة خاصة، ثم قال وهو يبتسم:

- حسنًا، ما رأيتُه لم ينتهِ بعد.

قال غانم بحذر:

- وهل هناك شيء آخر؟

لوح غرك سفيد بكلتا يديه:

- رأيتكَ تدخل كهفًا ما أو ما يشبه الكهف، ثم تقترب بحذر من قبر الشاب، وتنبش الرمال عنه، ثم تحمله وهو فاقد لوعيه، وتذهب به لطبيب خاص تثق فيه، وتطلب منه أن يعالجه، وأخبركَ الطبيب بعد فحصه أن بنيته قوية، وأنه سيعيش، وهنا قلتَ

للطبيب أنه من المهم جدًّا ألا يعرف أحد أن هذا الشاب على قيد الحياة.

صُعِقَ غانم، وتراجع للخلف مذهولًا غير مصدق، فما قاله غرك سفيد هو صحيح تمامًا، أكمل غرك سفيد بتوتر:

- لذا حين وضعتُ يدي عليكَ ورأيتُ وجه الشاب الذي أنقذتَه من الموت؛ شعرتُ بالارتباك ولم أفهم وقلت: عجيب! لا أفهم ما أراه بالضبط... هل تعرف ماذا كنتُ أقصد يا أستاذ غانم؟

هز غانم رأسه نفيًا، وهو -ما زال- في ذهوله غارقًا حتى النخاع، أكمل غرك سفيد:

- كنت متعجبًا مما أراه؛ لأن الشاب الذي رأيتُكَ تنقذه، هو نفسه الشاب الذي يُدعى مظلوم، والذي طلب مني وضع القنبلة في منزلكَ.

***

لوهلة لم يستوعب غانم ما يسمع، هو مظلوم! لكن كيف يكون مظلومًا وظالمًا في الوقت نفسه؟ بحيث

يحرمه من زوجته وزهرتي حياته، أهذا جزاء إنقاذه له من القبر الذي دُفِنَ فيه حيًّا! الحَيرة تجلّت على لسانه وهو يقول:

- لا أفهم.

قال غرك سفيد وهو يتفحصه بتمعن:

- إذن ما رأيتُه كان حقيقيًّا... بالفعل أنقذتَه من الدفن حيًّا؟

قال غانم بشرود:

- لم أحتمل فكرة أن يُدفن حيًّا بسبب وحشية فيصل.

ردد غرك سفيد:

- فيصل!

أومأ غانم برأسه، وقد بدا عليه الحزن:

- صديقي اللدود أو عدوي الحميم لو جاز التعبير... إنه صديق من أيام الجامعة، وصاحب إحدى الشركات المرموقة، وكنت شريكه ذات يوم.

- كنتَ؟

قال غانم بضيق:

- لا تُعجبني أساليبه في الإدارة وفي الحياة عمومًا.

- ولمَ صادقتَه في المقام الأول؟

قال غانم:

- لم يكن هكذا في بداية معرفتنا؛ بل كان لطيفًا رقيق الحاشية، إنسانًا بحق، لكن وسط هذا الخليط المغرى كانت تبرق شرارة من سخرية أو تشفٍ أو قسوة... شرارات تنبثق بين فترة وفترة، وكنت أتجاهلها... أقول إن صداقتنا شيء مقدس، وكلنا بشر نُصيب ونخطئ، ومَن منَّا كامل... هل تعرف هذه الخواطر التي تكون مُنْزَلَقًا لا تشعر بانزلاقكَ عليه حتى تُفاجأ؟

أومأ غرك سفيد برأسه، وكأنه خبير بهذا الشعور، لم يتوقف غانم عند هزة رأسه، وأكمل بمرارة:

- ثم تكشَّف لي وجهه القبيح حين كان شريكي في الشركة، كان قد اشترط أن يكون شريكًا صامتًا، بمعنى

لا يعرف أحدًا عنه شيئًا... أتعرف أني تكلمت كثيرًا عنه لزوجتي شيماء، حتى إنها ضجرت من حديثي عنه، وطلبت مني دعوته على الغداء، لكن فيصل رفض وقال إنه لا يحب أن يتدخل في حياتي الشخصية بأي شكل، وحين أبلغت شيماء بذلك ثارت واتهمتني بالكذب وأن فيصل هذا لا وجود له! هل تصدق هذا؟

ابتسم غرك سفيد:

- رد فعل طبيعي.

تنهد غانم:

- المهم أن قسوته هذه تجلَّت في أقصى وضوحها وأقسى درجاتها حين قتل شابًا يُدعى أكمل أمامي، حين ضربه بالسيارة، ثم دفنه بأحد الكهوف أو التلال الصغيرة لو شئتَ الدقة.

ردد غرك سفيد بدهشة:

- مظلوم؟

أومأ غانم برأسه:

- نعم... هو... وقد وبخته وحاولت أخذ الشاب لعلاجه في المستشفى، لكن صديقي العزيز رفض، فخضعت وخنعت، لكني عدت مرة أخرى بعد انصرافنا، وانتشلته من قبره وهو بين الحياة والموت، وذهبت به لعيادة طبيب خاص هو صديق مقرب لي، قام بعلاجه وتكتم الأمر... وحرصت ألا يعرف أني مَن أنقذته، وأكدت على هذا مرارًا وتكرارًا مع صديقي الطبيب ذاك.

بدا الاهتمام على وجه غرك سفيد الذي سأل:

- ثم؟

ابتسم غانم بمرارة:

- اتصل بي صديقي الطبيب وأخبرني أن أكمل غافله وترك العيادة... قلت لنفسي أرجو ألا يرتكب تصرفًا متهورًا يجذب إليه أنظار فيصل مجددًا، وربما يهدد حياته ذاتها.

وتنهد:

- وهذا ما فعله بالضبط.

تأمله غرك سفيد بدهشة حائرة بدت واضحة على وجهها:

- كيف تتعامل مع هذا الأمر بهذه الأريحية! لقد خسرتَ عائلتكَ بضربة واحدة.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة:

- ليس لديكَ فكرة عما أشعر به بالضبط.

سأله غرك سفيد:

- أنت تريد مقابلة مظلوم هذا؟ أقصد أكمل؟

أومأ غانم برأسه، وقال:

- نعم... لكني سأقوم بمهمتين لا تقلّان أهمية قبل مقابلته هذه.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

***

كانت المهمة الأولى هي مراقبة ذلك الوغد أمجد... كان هذا الأخير يسترخي في أحد المقاهي بطريقة مَن يملك المكان، وكان النُدُلُ يأتون صوبه طمعًا في البَقشيش.

دخل المقهى وجلس بجواره ملتزمًا الصمت مراقبًا كل شاردة وواردة تحدث أمامه، ويبدو أن طريقته هذه لفتت نظر أمجد ذاته؛ فقد قال وهو ينهض ويقترب منه:

- وجه جديد يا شباب هنا.

وأطلق ضحكة ساخرة، فتبعه بعض الجالسين وضحكوا مثله، بينما مطَّ البعض الآخر شفاههم استهجانًا، وسأله أمجد:

- ماذا يفعل رجل كبير مثلكَ في مكان كهذا يا والدي! هل تمرّ بأزمة منتصف العمر؟

قال غانم ببرود:

- بل أتيتُ من أجل تأديب شاب تافه يبتز فتاة ساذجة بأشياء يظن المعتوه أنه يملكها ضدها، بحيث تكون ملكًا له يفعل بها ما يشاء... أحمق، أليس كذلك؟

ارتبك أمجد، وقد أدرك أن غانم يقصده بهذا دون شك، رفع صوته وقال:

- ماذا تقول أيها المخرِّف!

وهوى بقبضته على يد غانم، لكن هذا الأخير سحب يده بسرعة مذهلة، ودفع طرف السكين لأعلى بشكل لم ينتبه إليه أحد، وإذا بشفرة السكين الحادة تخترق يده حتى العظام، ودوت الصرخة العالية المليئة بالألم من جوف الشاب، حتى إن صوتها وصل للمدير، الذي قدِمَ فوجد الحشد ملتفُّ حول أمجد يضمدون جراحه، بينما غانم جالس في مكانه ببرود؛ صرخ المدير:

- ماذا يحدث هنا؟

أشار أمجد وهو يبكي لغانم:

- لقد تهجَّم عليَّ.

ابتسم غانم ساخرًا، بينما قال أحد الجالسين:

- لم يحدث... لقد سجلت كل شيء على كاميرا هاتفي يا سيادة المدير، وأؤكد لكَ أن الأستاذ لم يُخطئ في شيء.

وبالفعل، عرض المقطع المصوَّر على هاتفه، وهز

المدير رأسه:

- لم يخطئ في حقكَ إذن يا أستاذ أمجد كما ادعيتَ.

صرخ أمجد، وقال بنبرة محذِّرة:

- اطلب له الشرطة، وإلا أخبرتُ أبي وجعلتُه يسحب استثماره في هذا المقهى.

مطَّ المدير شفتيه:

- افعل... وسأجعل أباكَ يعلقكَ من قدميكَ... أنتَ تعرف ماذا يفعل حين يغضب.

انفجر الجالسون في الضحك، وامتقع وجه أمجد، بينما نهض غانم وقال وهو يرمقه بنظرة خاصة:

- أرجو أن يتعلم الدرس جيدًا، وإلا ستكون المرة القادمة أكثر قسوة.

وغادر المقهى وسط همسات الحاضرين المندهشة.

***

في حجرة تغيير الملابس بقاعة الألعاب الرياضية جلس غانم بهدوء يرقب العملاء وهم يغيرّون ثيابهم،

وبدا أنه في ملكوت خاص به، لكن فجأة تغيَّر كل شيء حين دلف ماهر للحجرة وهو يضحك، انتظر حتى خلت الحجرة منهم، وهنا توجه إليه وقال:

- كلمة يا أستاذ ماهر لو سمحت.

تساءل ماهر:

- هل تعرفني؟

قال غانم وهو يبتسم:

- بالطبع، ومَن لا يعرف الأستاذ ماهر أشهر من يُوزع المخدرات على الشباب.

امتقع وجه ماهر وقال بعصبية:

- ماذا تقول؟

قال غانم ببرود:

- لا أحب استخدام العنف، لكن لو لم تتوقف عما تفعله، فستكون المرة القادمة فيها نهايتك... كن على ثقة من ذلك.

حدق إليه ماهر بدهشة، ثم انتابه غضب عارم، وأقبل

بجسمه الضخم على غانم وهو ينوى الفتك به، لكن غانم تحرك بسرعة، وأمسكه من رقبته بحركة شديدة الرشاقة والقوة، وهوى برأسه على باب الخزانة المعدنية الخاص بماهر والذي كان مفتوحًا، حتى سال خيط الدم منه، وفجأة توقف غانم مبهوتًا، وهو يرى أكياس المخدر في أكياس بيضاء صغيرة جدًّا تتراص في خزانته؛ بصق غانم عليه، ثم غادر القاعة.

***

كان يشعر بارتياح عارم وهو يقترب من المقهى الذي يُفترض أن يقابل فيه أكمل، عبر الباب، وألقى نظرة إلى الداخل، وإذا به يراه جالسًا، فغلى الدم في عروقه؛ إذن فهذا هو سبب فقده لعائلته مرارًا وتكرارًا، أخذ نفسًا عميقًا، ودلف للداخل، وتقدم بخطوات ثابتة من الشاب الذي ما رآه حتى وثب كمَن لدغته أفعى؛ مما جعل غانم يقول ببرود:

- مفاجأة، أليس كذلك؟

قال أكمل من بين أسنانه:

- ماذا تفعل هنا أيها القاتل؟

أطلق غانم ضحكة قصيرة، وقال وهو يسحب أمامه كرسيًّا ليجلس عليه:

- تقصد فيصل مَن قتلك، وليس أنا... أم أنكَ تجمعنا في سلةٍ واحدة؟

قال أكمل بصوت يفيض بغضًا:

- عمَّ تتحدث أيها المعتوه؟ أنتَ من قدتَ سيارتكَ، وضربتني بها مع سبق الإصرار والترصد.

***

مضت دقيقة أو أكثر، وخُيّل لغانم أن الزمن قد تجمد أو أصابته صاعقة من الدهشة كما أصابته، ثم قال بصوت متلعثم، وكأنه نسى طريقة الكلام بغتة:

- ماذا... ماذا تقول؟

جز أكمل على أسنانه:

- مَن تخدع بالضبط؟

قال غانم بعنادٍ وقد ذابت الصاعقة الجليدية:

...

- بل أنتَ مَن تخدع... أتريد أن تتهمني أنا بقتلك؟ هل تتهم مَن أنقذكَ بأنه مَن قتلكَ! هل أنتَ مجنون؟

زمجر أكمل:

- أنقذتني!

قال غانم ساخرًا:

- هل نُقِلتَ لتلك العيادة الخاصة التي يملكها الدكتور محمد عن طريق السِّحر مثلًا؟

تمتم أكمل:

- اسمه الدكتور محمد فعلًا، لكنه رفض أن يخبرني بمَن نقلني عنده... فقط قال وهو يبتسم إنه أشبه بملاك حارس.

تراجع غانم في مقعده بثقة، نقر أكمل على الطاولة بأصابعه، وكأنما يحاول أن يجد حلًّا لهذه المعضلة:

- انتابكَ الندم إذن! صدمتني بسيارتكَ ودفنتني حيًّا، ثم دفنتني، ثم صحا ضميرك فعدتَ لتنقذني.

زفر غانم بضيق:

...

- ستعود لنقطة أنني مَن صدمكَ مرة أخرى! يا أحمق... حاول أن تتذكر جيدًا... فيصل صاحب السيارة الحمراء هو مَن صدمكَ، بدليل أنكَ أخذتَ جزءًا من ثيابه، وقبضتَ عليها بقبضتكَ.

هزَّ أكمل رأسه نفيًا:

- إما أنها لعبة جديدة من ألاعيبك أو أنكَ -ببساطة- مختل... لم يكن في السيارة غيركَ... مَن فيصل هذا أصلًا؟ أول مرة أسمع هذا الاسم.

لوَّح غانم بيده:

- شريكي السابق في العمل.

هتف أكمل:

- لم يرد هذا الاسم أمامي من قبل.

ارتَجَّ غانم، الشاب يتكلم بحرارة واقتناع وصدق، لكنه واثق من كلامه؛ أي جنون هذا! فيصل مُختلَق، لا وجود له! لا، لن يصدق هذا، لقد غطَّاه بالكثير من الأقنعة لأنه يخشى على عائلته منه، فهل كان يخشى على

عائلته منه هو؟

اختنق في جلسته، وشعر بألم مبرح يلتهمه حيًّا، مدّ يده للسكين، وحدَّق إليها، وشعر أن ألمها سيكون أقل من هذا الألم الذي بداخله، لا بد أن يعود مرة أخرى، لا بد.

ودون أن يفكر كثيرًا حتى لا يتراجع أمسك بالسكين الحادة الموضوعة أمامه على الطاولة، ومررها على حنجرته بحركة سريعة، و...

***

@N_BHS2

اليوم الحادي والتسعون

انتفض خلف مكتبه، لقد عاد، عظيم، نهض وتوجه للخارج، وفي ذهنه يريد أن يقطع الشك باليقين؛ استقل سيارته وانطلق بها، وعبر عدة شوارع، ثم توقف أمام مبنى بعينه، لم يحتج لتفحصه كثيرًا، إذ إن عقله الباطن أخبره بأنه هو الذي يقيم فيه فيصل؛ صعد بالمصعد ثم دخل لمكتب فيصل، ولم يُلقِ بالاً للسكرتيرة الجالسة، ودفع باب حجرة المكتب ودخل، وهناك كان هذا الأخير يجلس خلف مكتبه.

***

فور أن رآه ابتسم فيصل:

- شريكي القديم... أية رياح خبيثة ألقت بكَ إلى هنا؟

قال غانم وهو يلهث:

- أنتَ مَن قتلتَ أكمل... أليس كذلك؟

بدت ابتسامة خبيثة على وجه فيصل:

- أكمل! لم أسمع هذا الاسم من قبل.

تمالك غانم أعصابه:

- لا تتظاهر بالبراءة... أنتَ مَن قتلته ودفنته في تلك الفجوة بالتلة.

تأمله فيصل للحظة، ثم قال:

- هل أنتَ بخير؟ أراكَ متعرقًا مهزوزًا.

صرخ غانم:

- أجب عن سؤالي: أنتَ مَن قتلته؟

قال فيصل ببرود مباغت:

- ودون لحظة تردد.

أطلق غانم تنهيدة ارتياح وهو يجلس على أحد المقاعد وهو يقول:

- للحظة ظننتُ أنني جننتُ.

ابتسم فيصل:

- ولمَ تقل هذا؟

أجابه غانم:

- البعض يقول إنك غير موجود... تخيل.

ضحك فيصل حتى دمعت عيناه؛ فمدَّ يده لمنديل ورقي ليمسح به دمعاته، وقال:

- الجنون فنون... ومَن الذي يجلس أمامكَ الآن يا صديقي؟

ودار بكرسيه:

- أليس رجلًا من لحم ودم! لا... أؤكد لكَ أني حقيقي تمامًا كما أنتَ كذلك.

وابتسم قائلًا بخبث:

- وإن كنا في الجسم نفسه، ونتحرك في الحيّز ذاته.

ابتلع غانم ريقه، وقال مدمدمًا:

- ما معنى هذا؟

لم يجب فيصل؛ بل اكتفى بالابتسامة المستفزة ذاتها، التي تصل بأعتى حليم لآخر الفتيل، وكأنه يقف على برميل بارود، صرخ غانم:

- لماذا لا تردَّ عليَّ أيها الوغد؟

ونهض واثبًا نحوه ممسكًا بكتفيه، كأنما أصابته لوثة هاتفًا:

- لا تعرف ما مررتُ به بسببكَ، وبسبب ذلك السرّ الذي يأكلني من الداخل... لا تعرف الجحيم الذي أعيش فيه حرفيًّا بسبب فعلتكَ.

قال فيصل ببرود:

- دفتركَ الأحمر فيه صورة من الجحيم أيضًا.

ثار غانم قائلًا:

- ما بال الجميع يتحدث عن الدفتر الأحمر، وكأنه يحوي أسرار الكون كله! إنه مجرد دفتر أحتفظ فيه بملاحظاتي عن العمل فحسب... هذا ما في الأمر كله.

قال فيصل بخبث:

- أهو كذلك فعلًا؟

صرخ غانم وهو ينتزع الدفتر الأحمر من جيبه، فاتحًا إياه أمام فيصل:

- انظر بنفسكَ أيها الأحمق.

قال فيصل بازدراء:

- بل انظر بنفسكَ أنتَ أيها المخدوع في نفسه.

ارتبك غانم من ردة فعل فيصل؛ أمسك الكتاب وأداره نحو عينيه، و...

ارتجف؛ كان الكتاب يعج بصفحات طافحة حتى آخرها برسومات بالقلم الرصاص تمثله هو، واقفًا على تلٍّ وهو يصرخ، ومن يديه تنبع أيدي رجل آخر، ورأسه من منتصف صدره؛ أشكال شيطانية بشعة، تؤكد أن مَن رسم هذه الرسومات هو أكثر الناس جنونًا على وجه الأرض؛ لهذا كانت شيماء واثقة أنها ستأخذ الشركة منه وستصير وصية عليها بمجرد الحصول على الدفتر الأحمر، إنه وثيقة جنونه التي لا شكّ فيها على الإطلاق؛ تهاوى على مقعده مذهولًا حائرًا، فجأة فُتح الباب، وظهرت السكرتيرة وهي تقول بدهشة:

- أستاذ غانم... ماذا تفعل!

استدار إليها وقد لفت انتباهه الصوت المألوف، وتجمَّد غير مصدق وهو يقول:

- نادية... ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟

لوَّحت بيدها:

- كنتُ في مكتبي حين سمعتكَ تصرخ، فأتيتْ للاطمئنان... أنا مندهشة يا سيدي، لقد كنتَ هنا منذ قليل وخرجتَ ثائرًا، دون أن تنتبه لي حتى، ثم عدتَ مجددًا، وسمعتكَ تُجري حديثًا بالداخل، فظننتكَ تتحدث في الهاتف.

تمتم:

- مكتبكِ؟

واستدار إلى فيصل، وإذا به قد اختفى.

تهاوى على مقعده في شركته، وهو يقول:

- إذن فقد صدق أكمل... فيصل لم يكن قاتله، بل أنا.

قالت نادية بتوتر:

- أكمل!

نهض غانم من خلف مكتبه، وقال:

- أخوكِ على قيد الحياة يا نادية... وسيرتكب حماقة بعد ساعات من الآن، ولا بد أن أمنع هذه الحماقة بشكل دائم... هذه الحماقة أنا غارق فيها لأسابيع، بل شهور، بل ربما سنوات، حسنًا... لقد كففت عن العدِّ إذ إنه مضيعة للوقت.

وأطلق ضحكة ساخرة جلجلتْ في فراغ الحجرة:

- مضيعة للوقت... يا للمفارقة.

اقتربت منه نادية، وقالت:

- هل أنتَ مَن قتلتَ أكمل؟

قال وهو يتجه للخارج:

- قتلتُه وأنقذتُه، وها أنا ذا محاصر في ذلك اليوم الذي لا يريد الانتهاء.

وغاب عن بصرها.

***

دخل ماهر حجرة تغيير الملابس، في هذه القاعة الرياضية، وإذ به يُفاجأ برجل واقف أمامه وينظر إليه بتركيز؛ قال بضيق:

- مَن أنتَ؟ ولماذا تنظر إليَّ هكذا؟

قال غانم بهدوء:

- حذرتكَ من قبل من مغبّة ما تفعل، لكن يبدو أنكَ مستمر فيما تفعله.

صرخ فيه ماهر:

- ماذا تقصد؟ هاه... ماذا تقصد؟ هل أنتَ مجنون؟ كيف ولم نتقابل من قبل!

قال غانم بهدوء:

- أنا والد هيثم الشاب الذي بدأتَ تدخله دائرتكَ اللعينة في التعاطي.

ارتجف ماهر، ثم قال ببرود:

- لا أعرف عمَّا تتكلم عنه بالضبط؟

فجأة دخل صاحب القاعة الرياضية ومعه مساعده، الذي يحمل حقيبة مفاتيح، وقال:

- جيد أنك هنا يا أستاذ ماهر... هناك مَن أبلغنا أنكَ تُتاجر في المخدرات، وتوزعها على الشباب الغرّ.

هتف ماهر بعصبية، وهو يرمق غانم بنظرة نارية:

- مجرد إشاعات مُغرضة يا سيدي... فمالي أنا وهذه المخدرات المدمرة؟

استدار المدير لمساعده وأومأ له برأسه، وهو يقول:

- البلاغ يقول إنك تحتفظ بهذه المخدرات في خزانتكَ... أي أنك تستخدم القاعة الرياضية التي تتدرب فيها كمركز لنشاطكَ.

امتقع وجه ماهر، بينما مساعد صاحب القاعة يفتح خزانته، ثم تراجع للخلف مبهوتًا أمام أكياس المخدرات البيضاء الصغيرة.

شحب وجه ماهر حتى صار أشبه بورقة بيضاء، ثم تحرك بسرعة وقد تغلب على المفاجأة وركض للخارج،

لكن قدم غانم اعترضته فسقط على وجهه، ثم اقترب منه هذا الأخير وهو يقول ساخرًا:

- إلى أين؟ ألديكَ موعد؟

***

كان غانم متألقًا في حفل عيد ميلاد ابنته، لمح فيصل يقترب منه فأشاح بوجهه، ضحك فيصل وهو يقول متهكمًا:

- أتهرب مني، أم تهرب من نفسكَ يا صديقي؟

لم ينطق غانم بكلمة، وهو يقترب من فيصل ويسير للأمام وكأنه غير موجود، ثم حين صارت بينه وبين هذا الأخير عدة بوصات أغمض عينيه، وأكمل طريقه، ثم حين فتحهما لم يكن فيصل هناك.

شعر براحة غامرة، وتعلق بصره برجل وقور ومعه ابنه، تقدم نحوهما غانم، وقال مرحِّبًا:

- لقد شرفتُ بقدومكَ اليوم يا سيدي أنتَ وابنكَ أمجد.

قال الرجل:

- وأنا أيضًا يا أستاذ غانم، وإن لم يكن بيننا سابق معرفة من قبل، ومع هذا حين اتصلتَ بي ودعوتنا معًا وأكدتَ على حضورنا قبلتُ بسرور، ووجدتُها فرصة مناسبة لتوطيد العلاقات بيننا.

تظاهر غانم بالدهشة واستدار لابن الرجل، وقال:

- ألم تخبر أباك يا أمجد عن ابنتى سلمى، وأنكَ تحبها وتريد الزواج منها؟ عارٌ عليكَ إن لم تفعل... فهذا توطيد أقوى وأرسخ.

شحب وجه أمجد لهذه المفاجأة التي لم يكن ينتظرها، بينما بدت الحَيرة على وجه أبيه، مال غانم نحو أمجد وهمس في أذنه:

- سأزوجكَ إياها ما دمت مغرمًا بها هكذا، أما لو كنتَ تعبث وتلعب فسأقتلكَ ببساطة، وأنا قادر على ذلك، فقد فعلتها من قبل ممن هم أكثر براءة منكَ، وأقل شرًّا منكَ بكثير.

وكان صوت غانم مخيفًا، وهو يدوِّي في أذنيَّ أمجد،

ابتسم أمجد وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة، وهو يهز رأسه ببلاهة، أما غانم فقد ألقى نظرة طويلة على سلمى وهيثم وشيماء، ثم توجَّه لحجرة المخزن، وهناك وجد القنبلة تنتظر؛ فتح الباب الجانبي الذي يقود للساحة، وهو يحملها بحرص، ثم حين صار على بُعد أمتار كافية نظر في ساعته، واحتضن القنبلة لصدره وقال متمتمًا:

- ربما أكون قد فهمتُ أني كربٍّ عائلة عليَّ فقط المحاولة، وعند التوقف عن المحاولة في حماية عائلتي... ربما هذا هو المطلوب فحسب... المحاولة... ما أريده كله لعائلتي فقط؛ هي أن تعيش.

ودوّى الانفجار.

***

اليوم صِفر

كان الخاطر الأخير الذي ولج لذهنه كبذرة خبيثة مدمرة؛ أنه قد لا يستيقظ هذه المرة في مكتبه كالعادة، وأنه قد يموت هذه المرة بلا عودة، وللحظة أرعبه هذا الخاطر وهو يحتضن القنبلة، ثم تنفجر بقوة، ولفح النار المؤلم يخترق كل بوصة من جسمه، ثم...

ثم ساد الظلام للحظة، ثم وجد نفسه فجأة في الكهف، وقد جثا على ركبتيه، وبدا أنه قد نبش قبر أكمل وقد بدا الفتى في حالة يُرثى لها من اختلاط الرمال بجسمه، وشحوب وجهه، وتنفسه الضعيف، وقد بدا حرفيًّا أنه بين الحياة والموت.

- تقتله وتحييه... يا لكَ من رجل.

أتاه الصوت، يصحبه حضور مخيف عجيب غامض يملأ المكان كله.

لكنه لم يكن صوتًا بالمعنى المفهوم؛ بل كان أشبه بفكرة متجسمة في ذهنه بتفاصيلها كاملة، والأمر يصعب وصفه، تلفت غانم حوله، وقال وهو يبتلع ريقه

برهبة:

- مَن يتكلم؟

أتاه الصوت:

- يمكنكَ مناداتي بـ: الذئب الأبيض.

فور أن وصل الكلام لذهنه، وثبت لذهنه صورة الذئب الأبيض الذي قابله في الطريق ذات يوم في الماضي، قبل أن يبدأ هذا الجنون، تمتم:

- هل أنتَ هو؟

خُيِّلَ إليه أن الصوت يموج بلمحة ساخرة:

- أنا مَن؟ تقصد هو؟ ربما أنا هو وربما لا... لكن ليس هذا هو المهم... المهم ما ستفعله، أو ما فعلته.

ردد متحيرًا، وهو -ما يزال- يتلفت حوله:

- ما سأفعله أو ما فعلته... لا أفهم.

قال الذئب الأبيض:

- هل يروق لكَ أن تكون مريضًا، تحمل بداخلكَ رجلاً

آخر اسمه فيصل، ولا تعرف بوجوده؟

تمتم بخوف:

- فيصل ليس له وجود! ماذا تقول؟

ضحك الذئب الأبيض:

- هذا هو السر الذي أُنسيتَ أنه سر.

تذكر غانم مقولة غرك سفيد سابقًا عن الأسرار الثلاثة المرتبطة ببعضها البعض؛ سرٌّ يعرف أنه سرٌّ، وسرٌّ أُنسي أنه سرٌّ، وسرٌّ يعرفه وهو لا يعرفه!.

شعر بارتباك يلتهم عقله حرفيًّا، كأنما عقله راح يفرز ما لديه مرة واحدة، أمواج عاتية مدمرة تكاد تصيبه بالجنون، تموج الصوت في فراغ الكهف:

- لقد نمَت بذرة الشرّ هذه في كيان آخر متصل بكَ، منفصل عنكَ، ظِل هو من ظلالكَ، لكنه يدعي لنفسه استقلالية لا ينازعه فيها أحد... أنتَ يا صديقي حالة فريدة للدكتور چيكل ومستر هايد لو كنتَ قرأتَ هذه الرواية من قبل... والسؤال هنا: هل تريد أن تكون

غانم كاملًا بدون ظلال مستقلة تنثر الرعب والشر، أم أنكَ مستمرئ لوجود صديقكَ اللدود وعدوكَ الحميم؟

تمتم:

- أريده ولا أريده.

قال الذئب الأبيض بصرامة:

- احسم أمركَ.

تذكر غانم زوجته شيماء، وهيثم وسلمى، تذكر كيف أبعدتهم الظلمة الكامنة بداخله، لقد كان هو العدو الخفي إذن، كان هو العدو المختبئ خلف العتمة؛ الشرّ الذي يرتدي زيًّا بشريًّا كرجل أعمال وزوج فاشل، وكأبٍّ مُحب لا يعرف كيف يُظهر حبه، قال وقد حسم أمره:

- لا أريده.

بدا الصوت مبتهجًا:

- عظيم... من أجل أن يحدث هذا سأحبسكَ في حلقة زمنية متكررة، لا بد أن تتذوق الموت مرات عديدة، والآلام آلاف المرات... لا بد أن تكتوى بنار الفقد،

وجحيم الحيرة، وجنون الارتياب، لا بد أن تتمزق نفسك ألف قطعة وقطعة، وتتنفس لفترة طويلة من ثقب إبرة، هل أنتَ على استعداد لدفع هذا الثمن؟

قال بذعر:

- لكني دفعته بالفعل... لقد مررت بهذا كله من قبل، وقد أتيتُ إلى هنا حين انفجرت القنبلة في جسمي.

كان الصوت يضحك:

- أحقًا حدث هذا؟

قال بحيرة:

- ألم يحدث؟

قال الذئب الأبيض:

- قد يكون وقد لا يكون... ربما... هذا ليس غموضًا مني، ولكن هذا ما أفعله؛ أجعل الزمن غير خطي، لا ينطلق من نقطة وينتهي بأخرى؛ بل قد يبدأ في نقطة وينتهي في النقطة نفسها، أو في نقطة

شبيهة بالنقطة الأولى... لا تشغل نفسك بهذه التسميات... أخبرني: ماذا ستفعل؟

تساءل غانم:

- أفعل ماذا؟

- بضحيتكَ الراقدة أمامكَ.

أجابه غانم:

- سأ...

قاطعه الذئب الأبيض:

- ما ستفعله هو ما سيحدد ما كان، أو ما سيكون.

ثم تلاشى الصوت، ومعه تلاشى الحضور المخيف لصاحبه... تساءل غانم: (هل كان يحلم بهذا الوجود؟ أم كان يتوهم؟).

نفض عن نفسه حيرته، وحمل أكمل ووضعه في سيارته، ثم انطلق بها، أُصيب بحيرة حقيقية، هل هو عاد لنقطة سابقة من الزمن، تختلف عن نقطة الزمن الثابتة المعتادة في مكتبه؟ أم أن هذا قد حدث

بالفعل وهو يتذكره الآن بشكل ثلاثي أبعاد؟

تذكر مقولة الذئب الأبيض:

- ما ستفعله هو ما سيحدد ما كان، أو ما سيكون.

تذكر زوجته وسلمى وهيثم ونادية وأكمل، وما فعله لهم، ووجد أنه كان العامل الثبات في دفعهم نحو حياة خطيرة مليئة بالمتاعب، هذا مرَّ بذهنه وهو يحتضن القنبلة، لكنه يشعر بهذا الآن بشكل أكثر عمقًا مما سبق، ثَمَّ جبل ثقيل يرزح تحته ويريد التخلص منه، فما السبيل؟

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

وبدلًا من أن يتجه إلى صديقه الدكتور محمد في عيادته، دخل مستشفى خاصًا وهو يحمل أكمل وصرخ:

- أنقذوا حياة هذا الشاب أرجوكم... إنه على حافة الموت.

هرع إليه طبيب وممرضينِ، وسأله الأول وهو يفحصه باهتمام:

- ماذا حدث له؟

قال غانم بعد لحظة تفكير وقد قرر قراره:

- أنا مَن قتلته.

***

كان غانم بصحبة أحد رجال الشرطة، وفي يديه القيود، بينما تُجرى عملية دقيقة لأكمل بالداخل، ظهرت شيماء مع سلمى وهيثم والهلع باديًا على وجوههم، وفور أن رأته شيماء عانقته بحرارة، وتأملها في دهشة لتصرفها هذا، ثم من الناحية الأخرى عانقه هيثم وسلمى بحب جارف؛ فبدا عليه التأثر في حين اندفعت نادية وهي تصرخ:

- أكمل... أين أكمل؟

ثم وثبت نحو غانم وهمت بصفعه، لكنها توقفت فجأة لسبب لا تعرفه، وكأنها تدرك بداخلها أنه ليس وغدًا كما تتصور من مكالمة أخيها الأخيرة حين ضربه بسيارته، هذا الإحجام منها أربكها، وجعلها تنفجر في بكاء عنيف، اقترب منها غانم وهوّن عليها ببضع كلمات، ثم أتى الطبيب، وقال بابتسامة مشرقة:

- سينجو إن شاء الله.

***

قال المحقق وهو يقف في الممر:

- حققنا مع الأستاذ أكمل وأكدَّ لنا أنه لا يعرف من اصطدم به بسيارته، وأنه لن يتهم أحدًا بعينه، بل وبأريحية قال إنه يسامح من فعل هذا من كلِّ قلبه.

بدت الدهشة على وجه غانم وهتف:

- لكن...

ضغطت زوجته شيماء يده برقة فنظر إليها بحيرة، لم يفت هذا على نظر المحقق الأريب، وكأنه يرى وراء الأكمة ما وراءها، هزَّ المحقق رأسه ثم اصطحب مساعده وغادر.

دخل غانم حجرة أكمل، وقال بتأثر شديد:

- كيف أشكركَ؟

قال أكمل بدهشة:

- مَن المفترض أن يشكر الآخر؟

قال غانم:

- لكني...

قاطعه أكمل وهو يتلفت إلى نادية:

- شقيقتي العزيزة... لقد سببتُ لكِ الرعب، أليس كذلك؟

لكزته في كتفه ثم قبّلته في جبينه، أما غانم فقد كان يعرف ماذا سيفعل بالضبط.

***

حين دخل ماهر حجرة تغيير الملابس بهذه القاعة الرياضية فوجئ أن خزانته مفتوحة، فاشتعل وجهه غضبًا، لكن دهشته حلت محل غضبه هذا حين حدق إلى غانم الجالس بهدوء يرمقه بصمت، زمجر:

- مَن أنتَ؟ وماذا تفعل هنا؟

قال غانم بهدوء وهو ينهض:

- تخلص من هذه السموم؛ وتُبْ قبل أن تدفع الثمن وصدقني سيكون غاليًا.

ابتلع ماهر ريقه، فبشكل ما غامض شعر بالخوف منه، كأنما قد قابله من قبل، وكأنما وجوده قد تسبب في إيذائه من قبل، نعم هو يشعر بأن الرجل قادر على خراب بيته وتحويل حياته لجحيم لو أراد، وجد نفسه يومئ برأسه بخضوع، توجه غانم للخارج بثقة، ثم توقف بغتة، وقال وهو يرمي الشاب بنظرة نارية:

- واقطع علاقتك بهيثم نهائيًّا، أريدك أن تختفي من حياته للأبد.

ومرة أخرى أومأ ماهر برأسه خاضعًا.

***

دخل أمجد سيارته، وإذا به يُفاجأ أن غانم يجلس في المقعد الخلفي؛ صرخ فور رؤيته:

- مَن أنتَ؟ وماذا تفعل بداخل سيارتي؟ كيف دخلتَها أصلًا؟

ابتسم غانم، وقال بلامبالاة:

- الدخول لسيارة تقليدية سهل للغاية، ربما حان

الوقت لكي تشتري واحدة كهربائية... يقولون إنها تحفة تكنولوچية... لكن هذا ليس موضوعنا يا أمجد.

استدار أمجد برأسه للخلف وقال بنبرة عنيفة:

- وتعرف اسمي أيضًا!

لوَّح غانم بيديه:

- وأعرف أنكَ وغد حقير وضيع، وأن حطب جهنم خُلق من أجل أمثالكَ... لكني أمنحكَ فرصة ذهبية يا فتى... لا تقم باستغلال الفتيات؛ بل لا تستغل أحدًا على الإطلاق، وإلا سيكون جزاؤكَ مخيفًا، إن لم يكن في الدنيا، ففي الآخرة.

وغادر السيارة، ثم نظر للشاب وألقى إليه شيئًا، وإذ به هاتفه، قال غانم بنبرة مخيفة:

- وجدتُ مئات الصور لفتيات ساذجات، صور لا يجب أن يراها إلا صاحبتها وأمها وزوجها، وقد قمتُ بحذفها نهائيًّا، ثم تدمير السحابة الافتراضية التي تحفظ عليها هذه الصور، ثم أتلفت الهاتف نفسه، وإذا حدث وكررت هذا الخطأ فسأحرص أن تلقى عقابًا شنيعًا... أنتَ تحت

عينيَّ، وفي نطاق مراقبتي.

وبينما كان أمجد يرتجف، كان غانم يختفي من أمام بصره تمامًا.

***

مضى شهران أو أكثر على مكوث أكمل في المستشفى، وفي يوم خروجه تجمع غانم مع أفراد عائلته، ونادية أيضًا، وفجأة دخل رجل حليق الوجه والرأس وقال بخجل وهو يوجه كلامه لشيماء:

- معذرة، ولكني قادم من مكتب متعهد حفلات الميلاد... لقد أخبروني في الڤيلا أنكِ هنا يا سيدتي، فجئتُ للاتفاق عما سأقدمه في فقرات الحفل.

صفقت سلمى طربًا، بينما ابتسم غانم وهو يحدق إلى غرك سفيد، دون أن يبدر منه أي شيء يدل على أنه يعرفه، سألته شيماء:

- ما اسمك؟

قال بهدوء:

- غرك سفيد.

ضحكت:

- أيُّ اسم هذا؟

قال بصرامة:

- اسمي.

لوَّحت بيديها على سبيل الاعتذار، وأخذت منه رقم هاتفه المحمول وودعها بكلمات قصيرة وانصرف متجهًا للمصعد، وفور أن انصرف ضحكت شيماء، وقالت:

- اسمٌ عجيب.

قالت سلمى ببساطة:

- إنه اسم فارسي.

ضربها غانم على ظهرها برفق:

- وكيف تعرفين هذا أيتها العبقرية؟

قالت كمَن أُهينت:

- تعرف عشقي للغات.

قالت أمُّها:

- هل تعرفين معنى الاسم إذن؟

هزت سلمى كتفيها:

- بالطبع. معناه: الذئب الأبيض.

هبَّ غانم من مقعده صارخًا:

- ماذا؟

في اللحظة التي ولج فيها غرك سفيد للمصعد الخالي ضغط زر الطابق السفلي، وتأمل للحظة انعكاسه على جدار المصعد المعدني اللامع، والعجيب أنه لم يكن يشابهه من قريب أو من بعيد، فقد كان الانعكاس عبارة عن ذئب أبيض ضخم.

اصدارات الكاتب

- غسق
- ليلُ السوالف
- الليلة لن أنتظر شيئاً
- ثمَّ هوى
- شيءٌ يشبه النسيان
- معصيةُ ليلى
- اختلال
- إليسع
- وحدها بدرية تعرف
- المحظور
- لم يره أحد
- مفتاح جهنم
- المتلبس

- السرعوف

- ساعف

- أصرخ لا أحد يسمعك

- مقتل زوج خائن

جميع الحقوق محفوظة لقناة رقش

للتواصل مع المؤلف:

albader29

allbader@

saad_allbader

saad_albader

---

(1) نوع من المتفجرات البلاستيكية شديدة الانفجار، وتُستخدم بشكل أساسي في العمليات العسكرية وأعمال الهدم وتستخدم في بعض الأعمال السينمائية الضخمة.

@N_BHS2